صبري أبو المجد

أيام الفاروق

من الملك إلى شعبه

شعبي المحبوب

منذ خاطبتكم المرة الأخيرة، مرت بنا أوقات عصيبة تلاحقت فيها الحوادث سراعاً. فكنت أخلو إلى نفسي، وأتجه إلى ربي، أسأله أن يحفظ بلادنا العزيزة، وأن يرفع عن كاهل الإنسانية شرور الحرب، ويعيد إلى العالم عصر سلام قائم على العدالة والتعاطف والوئام. وقد أذن الله بالنصر للدول الديمقراطية التي تتحد غايتنا وغايتهم وقريباً تنطلق الأمم من عقال الآلام والمحن.

فلنا اليوم أن نغتبط، وأن نحول الأنظار إلى فجر مستقبل تمد فيه الحرية رواقها على الجميع.

وإن من بواعث سروري أن أتحدث إليكم ونحن نستقبل العام الهجري الجديد، الذي نحفظ له أكرم الذكريات، لما يتمثل في الهجرة من معاني البطولة الخالدة للنبي الأمين.

لقد كانت الهجرة مبدأ تاريخ لعصر جديد. عز فيه الحق، وتحررت النفوس من ذل العبودية.

فلنتخذ من تاريخ الهجرة عظة وعبرة، ولنستلهم منها كل معنى كريم، يؤهل للحياة الحرة الكريمة.

وإنه ليسعدنى أن أهنئكم والأمم الإسلامية بهذا العيد المجيد ، وأبعث إلى الجميع بتحياتى الخالصة ، وتمنياتى الطيبة ، وأدعو الله أن يحقق للأمم العربية مساعيها فى تحقيق الوحدة العربية التى تصبو إليها ، والتى تجمع شملها وتوحد كلمتها ، وتكسبها قوة وأمناً ، ورخاء ويمناً .

بنى وطنى

إن عظمة كل أمة كامنة فى روح شعبها . وإنى لأقدر أعظم التقدير ما لشعبى العظيم من المزايا السامية ، وليس من شك فى طبيعة الصعوبات التى تنتظرنا بعد الحرب ، والتى تتضاءل بجانبها الصعوبات التى نواجهها الآن وستكون أياماً تمتحن فيها قوة شعبنا ومضاء عزيمتنا . ولن يعصمنا من هذه الشدة سوى الإيمان بالله ، والثقة بأنفسنا ، فإنها آية القوة فى بناء الأمم .

وإنى أهيب بكم أن تعملوا لمواجهة المستقبل بملء الثقة حتى تتخطى أشواك العوائق ، وأن تكونوا حول راية الوطن قلباً واحداً وأمة واحدة .

والسلام عليكم ورحمة الله .

رسالة الملك

إلى خريجي الجامعات والمعاهد

الذين نالوا شرف ضيافته الملكية

أحييكم ياشباب العلم ، ياخريجي الجامعات والمعاهد ، أحيي فتاتكم وأحيي فتاكم . إني لأشعر بالغبطة تغمر نفسي إذ أراكم تحفون بعرشي ، وتحيطون تاجي بهالة من علمكم وشبابكم . وإن عرشاً ، وإن تاجاً ، يحف بهما العلم والشباب . لعرش وتاج جديران بمصر ، مصر التي كانت ، ومصر التي ستكون .

أما مصر التي كانت فقد تولى التاريخ الكلام عنها ، والتغنى بآثرها ، وأما مصر التي ستكون فأنتم المسئولون عنها ، وإنها لأمانة في أعناقكم ، فلا تجعلوا أنشودة التاريخ فيكم أقل روعة من أنشودته في أجدادكم .

لقد أردت بهذا الاجتماع أن تلمسوا من قرب حبي لكم ، وتقديري للعلم في أشخاصكم ، وأن تحيوا باسمي زملاءكم الذين تواضع بهم حظهم فجاءوا بعدكم في ترتيب النجاح ، وأن تبلغوهم اعتزازي بنجاحكم ، فإن كل إجازة علمية جديدة تعد نجماً ساطعاً في سماء بلادي

أنتم حملة المشاعل ، وكثيرون ينتظرون الضوء الذى تحملون ليهتدوا به فى طريق الحياة ، فلا تطيلوا انتظارهم ، وانفعوا بعلمكم وانتفعوا . وليكن لكم من دينكم ووطنيتكم ، وإيمانكم وأمانتكم حصانة تقيكم من الزلل .

ارفعوا المشاعل فوق الطريق ، ولا تجعلوها نارا تحرق ، بل اجعلوها نورا يضىء ، وعلى بركة الله سيروا فى طريقكم ، وهذه يدى فى أيديكم ، تساهم فى العمل معكم ، يد قوية ، لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد شاب ، ولكن لأنها يد مصرى يؤمن بمصريته .

فلنؤمن جميعا بمصر ، فإنها كنانة الله ، ولنعمل لها ، وسيرى الله أعمالنا ، ويباركها .

فاروق

فاروق الأول

العامل الأول

فى هذه الصفحات المعدودات سأحاول أن أصور جلالة الملك المحبوب تصويراً لا ميزة له إلا صدق الإخلاص فيه .

الملك هو بدون شك العامل الأول .

العامل الأول لرفعة شأن الأمة وللنهوض بها إلى ذروة المجد .

العامل الأول لما فيه سعادة طبقات شعبه المتيم به .

العامل الأول فى ميدان الكفاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

العامل الأول لنشر المبادىء الدستورية الصحيحة والديمقراطية الصادقة .

العامل الأول لكل عمل أول . . .

والملك هو بدون شك العامل الأول .

العامل الأول لأنه عمل على إسعاد طبقات العمال جميعاً .

العامل الأول لأنه أسعد الناس بولاء العمال جميعاً .

العامل الأول لأنه منصف العامل ورافع شأن العامل .

العامل الأول لأنه منقذ كل عامل .

العامل الأول لأنه حبيب العمال ومليك .

وكيف لا يكون الفاروق هو العامل الأول . . . لقد ظل العمال فى زوايا النسيان حتى جاء الفاروق فأعلى ذكرهم . . وأشاد بمجهوداتهم . . وزارهم فى مقر أعمالهم وحادثهم فى شئونهم وأحوالهم . . وصافحهم وتغدى

وأفطر معهم . . . وهم بملابس العمل كأنه واحد منهم . . .

أمله فى الحياة « أن تتوفر لكل عامل فى مملكته وسائل المعيشة الحسنة وتتيسر له سبل التوفيق » .

« هو يحب العمال لأنه عامل مثلهم على خدمة الوطن وإعلاء كلمة الله . . كلكم جنوده وكلكم خدامه . . ومليككم أول خادم للوطن . . أحبكم إليه أشدكم رعاية لواجبه وأكرمكم لديه أكثركم تفانياً فى خدمة الوطن » . .

وهو يحب العمال لأنهم يستأهلون حبه وعطفه يحترقون ليضيئوا لغيرهم ويشقون ليسعدوا سواهم . ماترك المليك فرصة تمر إلا وأعلن فيها عطفه على العامل المصرى . . وافتخاره بالعامل المصرى وتشجيعه للعامل المصرى .

قيل لجلالته ذات يوم إن وكيل الوزارة سيشرح عملية تكرير المياه فى السفاينة فقال : « أريد أن أرى الموظف الصغير الذى عمل المحطة وأسمعه وهو يشرح عمله . . »

وفى المأدبة الملكية لإفطار العمال وكان عددهم ستمائة . قال جلالة الملك : « كنت أود أن ندعو العمال جميعاً لولا أن القصر لا يتسع لهم » .

وفى رحلة جلالته إلى البحر الأحمر كان العمال يغنون « زورونا فى السنة مرة حرام تنسونا بالمرة » فقال جلالته : « أنا لم أنساكم فلقد زرتكم فى سنة واحدة مرتين » .

وقال جلالته فى إحدى المناسبات : « إنى أريد أن تتوافر لكل عامل فى مملكتى وسائل المعيشة الحسنة ويتيسر له سبيل التثقيف . .

وقال أيضاً « إننى عند ما أسمع عن عامل ذكى أبحث عنه وأستدعيه من أى مكان مهما بعد لأننى أحب أن يظهر فى بلادى عمال نوابغ . . »

وقال مرة أخرى: « إنى أعجب بكل عامل نشيط يبتكر شيئاً ويجيد صنع شيء كما أفخر بعمل كبير من كبراء الدولة ».

هذا شعور الملك نحو العمال أما شعور العمال نحو مليكهم فحسبي أن أذكر مؤتمر العمال الأخير الذى جمع العمال فيه ستمائة لتر من دمائهم قدم هدية إلى جمعية الهلال الأحمر والإسعاف باسم جلالته كما قدم الكتاب الآتى مكتوباً بدماء محمد أفندى حافظ كامل صاحب هذا الاقتراح.

إلى حضرة صاحب الجلالة المليك المحبوب العامل الأول:

كان لكريم توجيه جلالتكم لحكومتكم الماهرية المحبوبة . . . ولما آنسته فى قلبكم الكبير من عطف سابغ على العمال . . . ورعاية نبيلة لإنصافهم . . والأخذ بيدهم أكبر الأثر فيما طلعت به على الأمة من إنصاف شامل لهذه الطبقات المستضعفة . . . التى أصبحت بعطفكم قوية . . . وبحدبكم عليها أمست سعيدة فتية . . . لهذا رأى العمال أن يخلدوا هذه المكرمة لحكومة جلالتكم بمداد اتخذوه من دمائهم . . وفاء وتقديراً . . لما نالوه من خير . . يذكر . . فيشكر.

يا صاحب الجلالة . . إن العامل المصرى الذى وجد فى ظلال العرش الوارفة مهاداً يستريح إليه . . ورأى فى رعاية العرش اقباساً من النور والأمل أنارت له الطريق . . وكشفت له سواء السبيل . . ليضرع إلى الله أن يحفظ جلالتكم للبلاد ذخراً . . ولنهضتها الاجتماعية قائداً . . وأن يمكن لكم فى الأرض وأن يفسح لكم فى رحاب العمر حتى تجنى مصر فى عهدكم المبرور خير الأكل وأبرك الثمرات.

٣ ديسمبر سنة ١٩٤٣

١٦ ذو الحجة سنة ١٣٦٢

والمصرى الأول

« هذه يدى أمدها إليكم ، وهى يد قوية لا لأنها يد ملك ، ولا لأنها يد شاب ، بل لأنها يد مصرى يؤمن بمصريته . . . هكذا قال الفاروق عن نفسه ، وهكذا أثبت التاريخ للفاروق .

وقال جلالته للكولونيل لونيه رئيس بعثة الصليب الأحمر فى الشرق الأدنى « وإذا عدت إلى بلادك الجميلة فإنك ستقول كلاماً طيباً عن بلادى. ولا تسمح لأحد بأن يسىء إلى مصر » .

وقال جلالته لشعبه : « أعاهدكم عهداً وثقاً على أنى سأقف حياتى على العمل لنفعكم ، وموالاة السعى فى سبيل إسعادكم » وقال: « اتحدوا وتآخوا وروضوا أنفسكم على حب النظام والطاعة ، وافخروا بقوميتكم واعتزوا بوطنيتكم وليؤمن كل منكم بأنه يعمل ويحيا ويموت لخير الوطن ونصح جلالته كل مصرى مخلص لوطنه ومليكه أن يكون ذا ثقة بالله وبنفسه وبمليكه » .

وفى عيد ميلاده الكريم لسنة ١٩٤٢ قال : « إن الملك لا يستمد سعادته من انتشار ظله على الأرض ولكنه يستمد هذه السعادة من تمكين محبته فى القلوب ، وإنى لأحمد الله أن وجدت فى كل قلب من قلوبكم عرشاً أعتز به وأفتديه » . ولما زار جلالته دير سينا (سانت كاترين) وأمضى جزءاً من وقته دارساً ومنقباً تبرع بأربعمائة جنيه للدير ، فقال أحد الرهبان هامساً : هذا كرم من ملك المسلمين ، فسمعها جلالته فقال هاشاً : إننى ملك المصريين جميعاً . . وهو حقاً ملك المصريين جميعاً لأنه المصرى الأول . لقد أخلص لمصر فى الحب فأخلصت له وتغالى فى التضحية لرفعة شأنها فتغالت هى فى التضحية لرفعته شأنها وشأنه .

إن الفاروق هو مصر ومصر هى الفاروق .

... والسودانى الأول

إذا ما ذكرنا مصر الشمال وجب علينا أن نذكر بالخير مصر الجنوب تلك التى لم تحظ برؤية الفاروق ولم تشاهد عن كثب جمال سجايا الفاروق والتى هى مشتاقة لرؤية الفاروق ... تواقة لنيل السعادة فى ظلال الفاروق.

شعورها بالحب نحو مليكها شعور قوى دافق لايحد ولا يوصف ..

ودعاؤها إلى الله لينصر الفاروق ويوحد الوادى لايفتر ولا يضعف ..

وأملها الأوحد هو : « تاج واحد ونيل واحد ووطن واحد ».

وحب أبناء مصر الجنوب للمليك لايعادله إلا حب أبناء مصر الشمال. وحب الفاروق لأبناء مصر الجنوب لايعدله إلا حبه لأبناء مصر الشمال بل يزيد .. لقد قالت جريدة السودان : لو عرف إخواننا المصريون محبة الفاروق لإخوانهم السودانيين لتمنوا أن يكونوا سودانيين .والسودانيون هم المصريون والمصريون هم السودانيون . لافرق إلا فى الإسم ... بل إنه لا فرق فى الإسم إذا اعتبرنا — وحقاً يكون اعتبارنا — أن لفظ السودان كلفظ الصعيد والوجه القبلى .

لقد زار جلالة الملك متحف الحضارة المصرية فقال عن قسم السودان هذا هو أهم الأقسام عندى ويهمنى أن يعتنى به بصفة خاصة .

فهو السودانى الأول ، والمدافع الأول عن حقوق الوادى وحريته واستقلاله ، هو ابن النيل وهو أب النيل .

. . . والعربى الأول

الفاروق عاهل العرب . الفاروق زعيم العرب . الفاروق صديق العرب . تلك هى اليوم أنشودة أبناء العرب ، اتخذوها رمزاً لأمانيهم وعنواناً لنهضتهم لما لمسوه من عطف جلالته عليهم ودفاعه عنهم ونصرته لقضيتهم.

قال رئيس الجمهورية السورية : « إن البلاد العربية فى أشد الحاجة إلى جهود هذا العاهل العظيم ، وإن فاروقاً ليس لمصر وحدها بل إن البلاد العربية لتشارك مصر حبها له وإعجابها به والأمم العربية سائرة نحو تحقيق أمانيها ومصر فى المقدمة وعلى رأسها الفاروق العظيم المؤمن بهذه القضية والعامل على إنجاحها بما اجتمع له من صفات ومزايا ومناقب أكسبته رفعة المنزلة فى نفوس العرب جميعاً » .

وقال السيد الكبسى مندوب جلالة الإمام يحيى فى مشاورات الوحدة العربية : « أهنيكم بمولانا فاروق أنعم به وأكرم من ملك هكذا الصلاح وهكذا التقوى وهكذا الغيرة العربية وإلا . إن قلبه المنطوى على الخير الكثير لنا ولكم . . . ترى هل يعرف شعبه مدى حبه له ؟ . . إنه ضمان المستقبل الزاهر والحاضر الزاخر بالعظمة ، ونحن لو حاولنا أن نتحدث عن حب جلالته للبلدان العربية وعن رغبته فى سعادتها وهناءتها ، وعن استعداده لنصرتها لاحتجنا إلى مجلدات ، فحسبى أن أشير إلى ما رفعه الطلاب السوريون إلى جلالته فى ٢١ / ١٢ / ١٩٤٤ .

لقد أهدوا جلالته علماً سورياً كبيراً من الحرير الدمشقى الفاخر وبأسفله علم أبيض كتب عليه : « إن أمتكم أمة واحدة ـــ هدية الشباب

السورى إلى زعيم الشباب العربى فاروق الأول » .

وحسبي أن أضع بين يدى قراء العربية هذه الكلمة الملكية الفاروقية السامية :

« إن أمانينا فى مستهل هذا العام الهجرى الجديد أن نرى مصر العزيزة تسير قدماً فى جميع مرافق الحياة وأن تكون سعادتها نصب العيون وشغل الأذهان . وأن تتوثق روابط الألفة والإخاء بينها وبين الشعوب العربية ، وأن يتواصى شعبها المجيد باليقظة والشجاعة والحزم ، فإن الوقت جد وحوادث الأيام تلاحقنا بالنذر .

ومن أعز آمالنا أن نرى الأمم الإسلامية تتبوأ صهوة المجد ، وتقتعد غارب الرفعة ، ولا تتخلف فى مضمار الحضارة ، وأن يتعرف المسلمون مواضع الضعف فيهم فيقوموها ، ومواطن القوة فيزيدوها ، وأن يستمسكوا بالوحدة فهى العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، ويبتعدوا عن الفرقة والانقسام ، فقديماً فت ذلك فى عضدهم وذهب بريحهم .

وليعلموا أن من أمهات العوامل فى قوتهم التمسك بدينهم ، ففى ضوئه وقويم نهجه تشيع فيهم شائعة القوة ويبلغون ما يوده كل محب للإسلام من الرغد والصفاء والخفض والهناء » .

فاروق

يوم القصاصين

كلمة رئيس الوزراء

دولة أحمد ماهر باشا

... إن أنس لا أنسى زيارتنا لجلالته فى مستشفى القصاصين عندما اجتمعنا حوله مباركين مهنئين مهللين مكبرين . فقد كنا فى حضرة جلالته مأخوذين بمظاهر الشجاعة والقوة التى زادها الحادث وضوحاً فيه ، وكنا فخورين أن مليكنا العظيم عندما غابت عنه فى مأواه مظاهر الملك ، لم تغب عنه مظاهر العظمة ، ولم تفارقه سجية الإيمان بالله العلى القدير ، وزدنا فخراً عندما تحدث إلينا جلالته حفظه الله ، فطرح ألمه ، ونسى جرحه ، وراح يحدثنا عن وطنه وبلاده ، وآماله وأمانيه . وكان كثير السؤال عن رعيته ، مشفقاً على أمته أن تجشمت فى سبيله بعض العناء ، وما درى جلالته أن الأمة إذ سعت إليه إنما كانت تسعى سعى المحبين ، إن لم أقل سعى الوالهين المتلهفين .

ولقد كانت ضراعة الناس إلى الله أن يحفظ الملك ، ويرعى الملك ، تتجاوب أصداء الوادى ، فكانت أشجى الأنغام إلى السمع وأحب الكلمات إلى القلوب فى تلك الساعات الرهيبة .

وكأنما كان حادث القصاصين عهداً جديداً بين الملك والشعب على الحب والولاء . وبرهاناً أكيداً على تعلق الأمة بأميرها العزيز .

والعودة الظافرة التى عادها الملك العظيم إلى عاصمة ملكه ، كانت غزواً جديداً لقلوب الناس أجمعين ، فحسبهم ما رأوا عند عودته ، إذ تراصت أفواجهم وتزاحمت جموعهم لا ليروا الملك فحسب ، بل ليبادلوه تحية الحب والوفاء ، ويؤكدوا له صدق العهد والولاء .

ولقد كان لتلك المظاهر فوق ما تقدم من جليل الخطر ووافر الثمر ، ما بقى ملحوظ الأثر فيما تلا ذلك من أحداث ، ولست أبالغ إذا قلت أن حادث القصاصين كان على مضضه ، فاتحة الخير ، وبادرة النصر المبين .

كلمة وزير الدفاع

معالى الأستاذ حسن صادق ...

في اليوم الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ بينما الحياة تسير فى مجراها الطبيعى . إذا بخبر مفزع لحادث مفجع ، ما كاد يصل إلى سمعى حتى هلع قلبى . ذلك هو السهم الذى وجهه القدر إلينا فى أعز عزيز لدينا .

أصيب الفاروق العظيم بين عشية وضحاها ، وإذا بمصر تصاب فى راعيها ورمز أمانيها . ما كدت أسمع الخبر حتى نظرت إلى المستقبل القاتم وهو حالك السواد ، فهالنى أن أرى مصر وهى طريحة الفراش فقمت مبتهلا إلى الله جلت قدرته وعلت مشيئته . تضرعت مع المتضرعين ، وسجدت مع الساجدين ، وحججت مع الحاجين إلى القصاصين نتنسم الخبر فى العشاء وفى السحر .

وكأن الله وهو أعلم بمصر وحالها ، وحاجة شعبها لمليكها ، وحب الرعية لحاميها وراعيها قد أشفق عليها أن تصل إليها يد الأقدار . فأحاطها جلت قدرته بسياج منيع من رعايته وحسن عنايته . فسبحان من جعل بعد العسر يسرا .

انقلبت الوجوه من وجومها إلى بهائها والعواطف من هلعها إلى فرحها والقلوب من قلقها إلى طمأنينتها والآمال من حالك سوادها إلى ناصع نورها فلا غرو أن تستقبل الامة بأسرها مليكها وزين شبابها ومعقد آمالها وعنوان نهضتها استقبالا رائعاً لم تر البلاد له مثيلا فى روعته وعظمته عند عودته مظفراً مكللا بإكليل الصحة والفخار فى اليوم السابع من ديسمبر سنة ١٩٤٣

تلك هى الذكرى الخالدة لحادث القصاصين الخالد الذى لن أنساه مدى الحياة .

عاشت مصر للملك ؟

من الشعب إلى رب الشعب

مولاى يا صاحب الجلالة

من نعم الله جل وعلا أن زرع محبتكم الغالية فى قلب كل فرد من أفراد شعبكم الوفى ، وأمتكم الكريمة ، ولقد نمت هذه المحبة وترعرعت حتى غدت شجرة مباركة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، آتت وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها من إخلاص وولاء وحب وفداء وتضحية ووفاء . وكانت وماتزال وستبقى إلى الأبد أعجوبة من أعاجيب هذا العصر ومعجزة من معجزات مصر . وغدت وستغدو فى كل زمان ومكان المثل الأعلى والقدوة السامية للمحبة العالية . وهل هناك فى الدنيا بأسرها شعب يحب مالكه ومليكه كما يحب شعب مصر فاروقه ؟ وهل فى صحائف التاريخ من أول يوم فيه حتى هاته اللحظة أن قدم إلى الله سبحانه وتعالى أفراد أمة بأسرها أرواحهم وأجسامهم وأبناءهم وأزواجهم وذراريهم تضحية وقرباناً لعله يتدارك بعنايته ورعايته أعز الناس وأحب الناس وأنبل الناس ، وأصدق الناس ، لقد كان ذلك فى يوم القصاصين ، ويوم القصاصين يا مولاى هو يومكم الخالد ويوم شعبكم الباقى ، فيه امتحنكما القدر فنجحتما — بفضل الله وعنايته — فى الامتحان ، وفيه اختبركما القضاء فثبتكما الله بقوته فى الاختبار ، ويوم القصاصين يا مولاى هو أشد يوم رأته مصر فى تاريخها القديم والحديث ، تملكها الجزع وتسيطر عليها الهلع واستولى عليها الفزع حتى لتوشك أفئدتها أن تتقطع وأكبادها أن تتفتت وأرواحها أن تذهب ،

لقد كنا يامولاى نحن شعبك الوفى نستمع إلى النبأ المحزن المؤلم فنرتاع ونلتاع ويغشى علينا ، كنا فى غمرة أو فى سكرة نتطلع إلى القصر العامر — قبلتنا ومهوى أفئدتنا — فاذا هو خلو من صاحبه وصاحبنا وسيده وسيدنا ، ونبحث عن نورك الوضاء اللألاء فاذا هو قد بعد عنا إلى الصحراء أين أنت يامليكنا . أين أنت ياحبيبنا . أين أنت يافاروقنا ، أين أنت ياباعث الأمل الباسم فى نفوسنا وقلوبنا . لما قالوا جرحت جرحنا ولما قالوا صدمت صدمنا ، كنا حيارى من الهم والغم ، لاندرى ماذا يدور من أجلنا بل ماذا يدور حولنا بل ماذا يدور فى نفوسنا ، نسينا إخواننا وأخواتنا ، وآباءنا وأمهاتنا ، وأطفالنا وأصدقاءنا ، وأموالنا وأهلينا ، نسينا كل شيء إلا أنت يامولاى ، اسمك الكريم يتردد على كل لسان ، صورتك المحبوبة ترتسم فى كل جنان ، كنا عاجزين يامولاى عن كل شيء إلا الدموع الحارة نسكبها والدعوات الطاهرة إلى الله نرفعها ، والهتافات الداوية العنيفة تنطق بها ألسنتنا وقلوبنا ، نأمل من صميم القلب أن نكون كلنا فداك ونرجو من خالص الفؤاد أن تكون أرواحنا قرباناً لشفائك . الله وحده يعلم كم دعوناه راكعين ساجدين أن ينقذك بحياتنا وأن يشفيك بأرواحنا وأن يبعد عنك السوء بدمائنا ، لقد جزعنا حتى أشفق منا وعلينا الجزع وفزعنا حتى تخشى علينا ومنا الفزع ، مصر جميعاً من أقصاها إلى أدناها قلقة جازعة ، مضطربة هالعة ، يشتد بها الألم فتتذكر رحمة الله وينتابها الجزع فتخر ساجدة لله ، ويستولى عليها الغم والهم فترفع بذلة وانكسار أكف الضراعة والابتهال الى الله كى يتم فضله بالشفاء والنجاة ، إن القلوب العامرة بالحب لتوشك أن تقف دقاتها . وإن العيون الممتلئة بالولاء والوفاء ليوشك أن يغيض ماء

نورها . فلا هذى تستطيع أن تفكر ولا تلك تستطيع أن تنظر وتبصر

لقد سرى النبأ فى القاهرة والأقاليم بسرعة البرق بل بأسرع من اللاسلكى فامتلأت المساجد بالمسلمين والكنائس بالمسيحيين والمعابد بالإسرائيليين ، ولم يبق فى القصور والدور والأكواخ إلا العجائز والمرضى والقواعد ، ولن تجد أحداً فى تلك الساعة إلا ويهتف لك يامولاى ، ويدعو لك يامولاى ، وما أظن السماء إلا امتلأت دعاء ورجاء . واستجاب الله دعاء هذه الأمة المسكينة فأحياها بك وشفاك لها ولطف بكا لطفاً كبيرا ، لقد انطلق البشير يردد ألا خوف ولا هلع ولا اضطراب ولا جزع . لقد حفظ الله للأمة فاروقها وأبقى للكنانة مليكها ، هنالك ثبتت القلوب بعد انقلاب ، واطمأنت النفوس بعد اضطراب ، وعادت الأرواح بعد ذهاب ، شع فى الكون شعاع من السرور وشاع فى الكنانة مصباح من النور — وعندئذ سجدنا لله شاكرين له جل وعلا لطفه بك وبنا وعنايته بك وبنا ، ولو أنك يامولاى شهدت منظر سجودنا وشكرنا ومبلغ حزننا وتأثرنا لعرفت أن تلك المنزلة التى أنزلكها الله لم ينزلها أحد من قبلك وأن المكانة التى أحلك الله إياها لم يحتلها أحد سواك ، ولو عرفت أية ليلة باتتها رعيتك وأية أحزان عرفتها أمتك وأية آلام كابدتها مصرك لعرفت أنك فى هذه الأمة مكان الإنسان من العين والسويداء من القلب والروح من الجسم . كانت ليلة ليلاء ، لم تغن فيها لا التصريحات ولا النشرات ، وكانت أحزانا جنونية لم تخففها لا التوكيدات ولا التأكيدات ، وكانت آلاماً هستيرية لم تزلها خطب أو خطابات . بتنا والله يامولاى كاليتامى أصيبوا فى عائلهم الوحيد ، وكالضحايا من الجند العزل فجعوا فى قائدهم المجيد ، لقد أوشكت أن تتهدم آمالنا

وأن تتحطم أعصابنا. وأن تترشم من الحزن والأسى قلوبنا وأفئدتنا ، تهتف في أعماق الليل الساكن إلا من وجيب قلوبنا فلا نجد من القوة ما نردد به ذلك الهتاف ، نصرخ وسط السكون الداجى الحزين مرة ثم لا نقوى بعد ذلك على ترداد الصراخ ، نبكى حر البكاء بأفئدتنا واحساساتنا ومشاعرنا كل قطعة تتفتت من أفئدتنا لا تهتف حين تتفتت إلا حفظ الله الملك . وكل قطعة تتقطع من نفوسنا لا تهتف حين تتقطع إلا رعى الله الملك ، وكل روح من أرواحنا حين تصعد إلى خالقها التى بها الحنون عليها لا تهتف حين تصعد إلا شفى الله الملك . نبكى وتبكى أطفالنا من حولنا حتى ليختلط بكاؤنا ببكائهم ويمتزج نشيجنا بنشيجهم ، وما أخالك يامولاى إلا رأيته وسمعته ، تنتاب أجسامنا قشعريرة الموت فإذا ذكرنا لطف الله بك وعطفه عليك سكنا وسكتنا ، ونضطرب اضطراب الذبيح فإذا تخيلنا محبة الله لك وحدبه عليك هدأنا واطمأننا ، ثم نرتاع ارتياع الحزين المحزون فإذا تذكرنا إيمانك القوى ثبتنا ، ونلتاع التياع الخائف الوجل فإذا طاف بنا طائف من ثباتك هدأنا ، نقوم ثم نقعد ، نسير ثم نقف ، فى حركات هستيرية جنونية . تركت الأم وحيدها تلك الليلة وما فكرت فيه لأن كل تفكيرها فيك يامولاى . ونسى الأب الشفيق أطفاله وآله لأن كل قلبه متجه إليك فى مكانك يامولاى ، بل نسى الشعب نفسه ليتذكرك ، وترك كل أمره لأنه شغله أمرك ، وما فعل هؤلاء ما فعلوا لأنك الملك ، وما أظهر هؤلاء ذلك الذى أدهش الدنيا بمن فيها وما فيها لأنك الملك ، ففى الدنيا ملوك كثيرون ما نالوا بعض ما نلت ، وما رأوا معشار ما رأيت ، أنت الحبيب قبل أن تكون الملك ، وأنت الطبيب قبل أن تكون الملك ، وأنت الولى الصديق

قبل أن تكون الملك . حبك قد صيغت منه نفوسهم ، وعشقك قد فطرت عليه قلوبهم ، حب فطرى وعشق سرمدى لم يصح من قبل إلا لك ولم يفطر شعب عليه إلا شعبك الوفى لك ، المخلص لعرشك . لقد كنت وما زلت يامولاى براً بشعبك فليس عجباً إذن ألا يفكر فى هذه اللحظة الحرجة إلا فيك . وكنت ومازلت يامولاى أحنى الناس على رعيتك وأشفق الناس على أمتك ، كنت للفقير صديقاً ، وكنت للمحروم معيناً ، وكنت للعامل المكدود مرفهاً وللفلاح المنهوك مواسياً .

كنت وما زلت يامولاى للكبير وللصغير وللوزير وللخفير وللأمير وللفقير الأب الشفيق والصديق الصدوق ، وكنت ما زلت يامولاى خير الملوك الصالحين ، وخليفة الخلفاء الراشدين . فهل من العجب إذن ألا يهدأ الكبير لأنك أصبت ولا يثبت الصغير لأنك جرحت ولا يطمئن الوزير لأنك صدمت ولا يهنأ الخفير لأنك مرضت ولا يرى الراحة الأمير لأنك تألمت .

وكنت وما زلت يامولاى فى مرضك وفى صحتك وفى طفولتك وفى شبابك ، تمثل شعبك الوفى أصدق تمثيل ، أحببته صادق الحب فأحبك ، وأخلصت له خالص الإخلاص فأخلص لك ، فأنت يامولاى للوطنية الصادقة رمزها العالى ، وللقومية الخالصة المخلصة عنوانها السامى ، ولمصر كلها من منبع نيلها إلى مصبه رمز أمانيها وحاميها وراعيها . أنت للشبان قوتهم وللشيوخ حكمتهم وللأمة كلها ذخرها وفخرها وحصنها وركنها ، فهل من العجب إذن أن يحف الشباب بعرشك وأن يحتاط الشيوخ بتاجك وأن تكون الأمة كلها بك ومن أجلك جنود تضحية وفداء ورسل محبة وولاء ،

ليس بين الوجود أمة يامولاى تؤمن بحب مليكها كما نؤمن بحبك ، وليس في الدنيا بأسرها شعب يخلص للمليك كما نخلص لك ، تختلف أحزابنا وتتفق عندك . وتفترق طوائفنا وتجتمع في قصرك . وتتباين وجهات أنظارنا وتتفق على حبك ، وهذا الحب يامولاى حب ثابت لأنه عقيدة ، وهذا الإخلاص إخلاص قوى لأنه من عند الله .

وهذا الوقت يامولاى الذى يوشك أن ينتهى فيه هذا الصراع المخيف ، نرى كل أمة تجمع صفوفها وترتب جندها وتداوى أمراضها ، استعداداً للنضال في سبيل المستقبل المرجو ، في هذا الوقت لا تفكر مصر — ثبت الله بالنصر عرشها ونضر بالوئام أيام شعبها — إلا فيما يعيد لها سابق عهدها المجيد وليست ترى من طريق لتلك العودة إلا طريقك ، فأنت القوة التى بها تتقوى واليد التى بها تبطش ، والروح التى بها تحيا ، أنت يامولاى موئل هذه النهضة وباعث هذه الحركة ؟ والنجاح بعون الله مضمون لمصر مادمت يامولاى تحبوها بعطفك وتشملها برعايتك وتحيطها بعنايتك . لقد رأيت يامولاى كيف أن مكاناً شرف بك حيناً من الدهر ، كان من قبل مهجوراً مطموراً فأحاله الحب إلى جنة من الجنان وروضة من الرياض ، حتى لقد حسدته عواصم الشرق والغرب وغبطته جنات السماء والأرض ، لقد أنزله الحب المصرى منزلة شماء لم تصل إليها أية بقعة من بقاع الدنيا إلا كل بقعة نزلت فيها أو حللت بها .

وأهل هذا المكان يامولاى كانوا إخواننا في الدين وشركاءنا في الوطن وزملاءنا في حب الفاروق ، كانوا أعراباً فغدوا أقطاباً ، وكانوا نجوماً فصاروا أقماراً ، كانوا قبل اليوم يحسدوننا فحسدناهم ويغبطوننا فغبطناهم ،

وكانت تلك الصحراء الجرداء القفراء مسرح حب من السماء . وكانت تلك البطحاء الصفراء مهبط ولاء من واهب الولاء . أرأيت يامولاى كيف تغيرت القصاصين وتطورت . لشد ما تغيرت وما تطورت ، كانت قرية نائية بعيدة صغيرة ، فغدت فى يوم وليلة ، بل فى ساعة أو بعض ساعة ، ملتقى أفكار المحبين ومجمع قلوب المصريين ، ومهوى أفئدة شعبك الوفى الأمين . كانت قرية فغدت عاصمة ، كانت زاوية فأصبحت كعبة ، كانت أسرة فأصبحت دولة ، بك أعزها الله كما أعزنا وبنورك الوضاء أضاء الله قلوب أهلها كما أضاء قلوبنا . لقد كانت وكان يومها برهان الحب الساطع ودليل الولاء القاطع ، عرفنا وعرف الناس كيف يكون الحب السماوى والإخلاص الربانى وعلمت وعلمنا وعلمت الدنيا جميعاً أن مصر التى بنت الأهرام ، والتى جعلت من الحجر أثراً قاوم الزمن وغالب الدهر وبقى على طول العهد حديث الدنيا ومعجزة الفن قد جعلت من حادثة وقعت ومن قرية نأت تاريخ حب لا يبلى وتمثال وفاء لا يزول ولا يفنى ، وأهرام ولاء تغالب أهرام القدماء ، لقد كانت وستظل إلى الأبد تلك القرية أو تلك المدينة عزيزة علينا وعلى الناس ، استقبلتك جريحاً وداوتك مريضاً وشرفت بك ضيفاً جليلا ، أحسنت استقبالك فأحسن الناس استقبالها ، وأخلصت فى مداواتك فأخلص الناس لها ، كانت خير دار إقامة لك يامولاى فجعلناها كعبتنا تحج إليها قلوبنا وتهوى إليها أفئدتنا .

يايوم القصاصين : لقد كنت يوماً عبوساً قمطريرا . ولكنك ستظل إلى الأبد يوماً مضيئاً منيراً ، كنت يايوم القصاصين محك اختبار وميدان ابتلاء وكنت مسرحاً لشتى العواطف الجياشة الثائرة فلم يمر يوم مثلك تطلعت

في قلوب خمسة وعشرين مليوناً من سكان مصر ، بل أربعمائة مليون من مسلمي الدنيا إلى بقعة صغيرة من الأرض كان فيها أملهم ورجاؤهم وحياتهم بل وكل شيء لديهم .

يا يوم القصاصين : أيكفيك منا أن نتخذك عنواناً للحب الفاروقي ، ودليلا من أدلة الولاء المصري ، أيكفيك أن يتخذك كل فرد منا أبرز يوم في حياته ، وأظهر يوم في تاريخه ، وبالرغم من كل ذلك لا نعطيك بعض ما تستحق يا يوم القصاصين .

أي مليكي : يا زينة الدنيا وبهجتها ، يا رمز مجد الكنانة وعنوان نهضتها ، يا باعث الوطنية الصادقة وابن بجدتها ، عزمك الجبار قوام حياتها ، وروحك الوثابة سناد مستقبلها ، وخلقك النبيل ركن نهضتها ، أحيا بك الله الأمة المصرية بعدما تحالفت عليها الأيام ، وعادتها عوادي الآلام والأسقام والأوهام ، ونصر الله بإيمانك القوي دين الإسلام بعد ما تخلى عنـــه الأنصار والأبناء والخلان ، لقد استطعت يا مولاي بإخلاصك المتين وخلقك العظيم وديمقراطيتك الفذة أن تحيي شعباً وأن تبعث أمة . أما شبابك يا مولاي ، جنودك أبناؤك ، فمنذ أن أحييت بروحك الفتية أرواحهم وبعثت بنفسك القوية نفوسهم ، وخلقت بمصريتك الخالصة مصريتهم ، وصغت من وطنيتك السامية وطنيتهم ، منذ مددت إليهم يدك القوية لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد مالك ، بل لأنها يد مصري مؤمن بمصريته . وطني صادق في وطنيته ، منذ شاركتهم في شعورهم ، وزاملتهم في أعيادهم ، وأحييت ميت العزائم في نفوسهم وذكي الهمم في قلوبهم ، منذ وجهتهم الوجهة التي أردتها لهم ، وهي وجهة الخير يا مولاي ، ومنذ جمعتهم على

الوطنية الصادقة التي بعثتها فيهم وهي أشرف وطنية يامولاى : منذ وحدت كلمتهم على وجوب الفناء فى سبيل مصر ، منذ حولت يأس نفوسهم إلى أمل محقق . ومنذ صيرت ضعفهم قوة صادقة ، منذ ذلك اليوم الذى دعوتهم فيه يوم عدت من أوربا . ومنذ ذلك الوقت الذى هيأت لهم فيه ظروف العمل لخدمة الوطن ، خلقوا يامولاى خلقاً جديداً ، وصوروا يامولاى تصويراً حديثاً وهبوا أرواحهم للعرش وللوطن ، وباعوا لله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فيقتلون فى سبيل الله ، جعل الله بك وبهم هذا العصر عصر نهوض وارتقاء ، وجعل بقوتك وقوتهم هذا العهد عهد عزيمة ومضاء ، وجعل مصر قوية بك وبشبابك ، عزيزة بك وبجنودك ، منيعة بجهودك وجهود أبنائك .

ومصر يامولاى : مصر العظمى . مصر الخالدة . مصر أستاذة الدنيا ومعلمة الشعوب . مصر عروس الشرق والغرب ، لئن كانت قد تأخرت عن ركاب الأمم العظمى أمداً من الآماد . وتخلفت عن قافلة الدول الكبرى حقبة من الأحقاب وتوانت عن آداء رسالتها السابقة نحو الإنسانية والمدنية مدة من الزمان ، ولئن كان قد قدر لها أن تمشى فى الخلف ومن عادتها السبق وأن تمتهن كرامتها ، ومن طبعها المحافظة على كرامة غيرها وأن تتكاسل وتتواكل عن بلوغ غايتها فى الزعامة . ومنزلتها فى السيادة ، فسوف يعود لها بك وبجنودك ما كان لها أيام رمسيس وتحتمس وصلاح الدين وسوف تسير بعناية الله العلى القدير فى المقدمة كما كانت وسوف تكون حامية الأمم الضعيفة كما ينبغى أن تكون ، ستشنها يامولاى حرباً شعواء على الفقر والجهل والمرض ذلك الثالوث النجس الذى أوشك أن يقضى على آمالنا فى بدايتها ،

وسوف نتخلص من الأثرة الطاغية والأنانية الباغية، وسوف نستفيد من أخطاء الماضي. وسوف نمضي في سبيل المستقبل قدماً لانهاب أمماً ولا دولا وسوف نترسم دائماً يامولاى خطاك سائرين وفق رأيك ومبتغاك. وسوف نبذل كل مجهودنا، وأرواحنا وأموالنا. حتى تكون مصرك يامولاى مصر العظمى ونيلك ـ ياأبا النيل ـ النيل الأعظم، ويكون شعبك شعب الله المختار.

لقد تفتحت عيون شعبك يا مولاى على الحقائق فعرفها حق المعرفة ودرسها حق الدراسة فلن يكون هنالك في المستقبل تهاون أو توان أو تكاسل أو تواكل. الحقوق المقدسة كلها دفعة واحدة. الأمانى القومية تحقيقها كلها دفعة واحدة، الاستقلال الناقص لم يعد يرضينا، الحرية المزيفة لم تعد تغذينا، الأمانى القومية المقسطة لم تعد تلائمنا، هدف الجميع هو الاستقلال الصحيح للوادى من خط الاستواء حتى الإسكندرية. كل شبر ينقص سنأخذه بدمائنا وأرواحنا. وكل حق يقسط لابد من أخذه كاملا ولو بالقوة إنك ويمين الله يا مولاى لأول مدافع عن الوطن وأول مجاهد في سبيل اتحاد الوادى، فاذا ما أمل شبابك الخير على يديك فلن ينالوا ولن ينال الوطن إلا كل خير.

إنك ويمين الله يامولاى لأسعد ملك في هذه الدنيا فما انعقد لملك غيرك من قبل هذا الحب، وما خلق لشخص مثلك هذا الإخلاص، آمنت بمجد مصر فآمنوا. وأخلصت لقضية مصر فأخلصوا. وانتويت أن تجعل من الكنانة دولة التاريخ التي لاتبارى وكذلك انتووا. وسعيت لكي تضم شمل الوادى وكذلك سعوا. ووهبت لمصر كل حياتك وشبابك وكل قوتك وكذلك وهبوا، أفبعد كل ذلك يامولاى لانطمع في أن تكون مصر العظمى

لائقة بإخلاصك وإخلاصنا لك ولها . وأن يكون النيل العظيم جديراً بمحبتك له ومحبتنا له ولك .

والله يامولاى ما وجد شعب مثل شعبك على رأسه فاروق مثلك إلا كتب الله له الرقى والرفعة وقدر له النجاح والفلاح . يمكنك يامولاى أن تقرأ بشائر الرقى والرفعة فى عينى كل فرد من أفراد رعيتك ويمكنك يامولاى أن تلمح بوادر النجاح والفلاح على وجه كل مصرى من أبناء مصرك ، ويمكنك أن تجد أسس هذا المجد مزروعة فى قلوب شبابك .

يامليكى : عرشك فى الحنايا ، تاجك فى القلوب . إن كلت سواعدنا عن حمله حملته أفئدتنا ، وإن لم تستطع أكتافنا رفعه رفعته هاماتنا .

يامليكى : يا أمل الشباب ويا ذخره ، ويا مستقبل النيل ويا فخره ، ويا راعى الوادى وحاميه ، ويارمز آماله وأمانيه .

يامليكى : يامن اختارك الله لنصرة دينه ورفعة كنانته ، يامن حباك الله بفضله وعنايته ، وشملك فى كل أدوار حياتك بعطفه ورعايته ، يامن ملكه الله مفتاح القلوب ، يامن أعطاه الله قدرة الاستيلاء على النفوس ، أرواحنا مشتاقة للفداء ، أفئدتنا تواقة للتضحية ، عزائمنا مرهفة للجهاد .

يا مولاى : يامونل الدنيا وبهجتها ، يا فخر الكنانة ويا رمز عظمتها ، يا من من الملأ الأعلى رسالته ، يا رجاء الوادى ويا أمله ، ويا حصن النيل ويا ركنه ، ياعلم المجد السعيد ، يامحقق الأمل المجيد ، ياروح مصر ويارأس الشرق ويافخر الدنيا ياملكنا يافاروق . كل أعمالك تنطق بالوطنية السامية وكل آثارك تعبر عن مصرية فائقة ، لقد قواك الله بروح من عنده فكانت كل أفعالك آسرة للقلوب ، مسيطرة على النفوس ،

لم أجد ولم يجد أحد غيرى ملكاً ضحى بحياته فى سبيل أمته مثل ماضحيت وبذل مثل هذه الجهود الجبارة من أجل رفعة شعبه كما بذلت ، ومع كل هذه التضحيات يامولاى أبيت إلا أن تزيل كل حاجز بين العرش والأمة . فقضيت يامولاى عيد ميلادك بين أفراد رعيتك المرضى الجياع تداويهم وتخفف عنهم وتأخذ بأيديهم إلى حيث السعادة ، طرقت الأكواخ ودخلت دور الفقراء والمحتاجين أوقبورهم ، مواسياً ومخففاً ومداوياً ، أكلت مما يأكلون ، وشربت مما يشربون وحملت لهم الصحة والعافية فصاروا أسعد الناس بك وأصبح الناس برؤية وجهك الوضاح وأبيت إلا أن تقضى يوم ذكرى توليتك سلطتك الدستورية بين أربعين ألف عامل من عمال شعبك المكدودين ترفه عن المحتاجين منهم وتمد يد العون إلى البائسين منهم وتتفضل كعادتك دائماً يامولاى فتشجع كل عامل وتخلد ذكرى كل وطنى مخلص .

فلما كان شهر رمضان المعظم فتحت أبواب قصرك لأبناء شعبك وضربت أكبر مثل الديمقراطية وبرهنت للدنيا بأسرها أنك الفاروق الذى حفظه الله للكنانة لكى يسترد مجدها وللدين الحنيف كى يعلى شأنه .

أما أنا يامولاى فشاب من شبابك وجندى من جندك آمنت بمجد الوطن إيماناً خالصاً وبعت لله وللوطن الغالى نفسى ومالى وحياتى وشبابى وكل دقيقة أعيشها فيها بل وكل ثانية تمر على . وهبت نفسى للوطن . لمصر . للفاروق . كل نفس من أنفاسى لايخرج إلا متجهاً نحو مصلحة الوطن وكل جارحة من جوارحى لاتسعى إلا لخدمة الوطن بل وكل خاطرة من خواطرى لاتكون إلا للعمل على رفعة الوطن .

أنا يامولاى مدين للوطن بكل حياتى ، وأنا ساع منذ خلقنى الله فى هذه

الدنيا لأداء هذا الدين بكل ما فى طاقتى من حول وطول . ولست أنا وحدى يامولاى هكذا بل أنا أقل شبابك المخلص وطنية وإقداماً وتضحية وفداء . كلنا جميعاً يامولاى خدام الوطن وسدنة العرش قد وضعت الأقدار على أكتافنا عبء تجديد كيان هذا الوطن ، فعما قريب يامولاى ستضع الحرب أوزارها ويتخلص الناس من أضرارها وأوضارها وسوف تجد منا جنوداً للسلم يستنيرون بثاقب رأيك ويسيرون وفق رغبتك ، ويحققون كل آمالك وأمانيك : سوف نسعى يامولاى جميعاً لنعز كلمة الدين ولننصر كتاب الله ولنحقق وحدة النيل ، ونحن وإن كنا يامولاى عزل إلا من الايمان بالله فقراء إلا من الإخلاص للوطن ، ضعفاء إلا من معونتك فان ما انطوت عليه قلوبنا من ولاء للعرش وتفان فى الدين وتهافت على التضحية فى سبيل نصرة الوطن ما يقوى هممنا ويشحذ عزائمنا ويجعلنا رابطى الجأش أقوياء الهمم فى سبيل تحقيق المثل العليا التى تدين بها .

يامولاى : كتبت كتابى هذا وما بى حاجة إلى القول بأنه كان وحى الحادث . حاولت أن أسجل فيه هذا اليوم التاريخى وغيره من الأيام الفاروقيات الخالدات فكتبت ما كتبت ووصفت ما وصفت ثم تعبت ما تعبت لأنى حاولت أن أحلل حب شعبك لك فما نجحت فى محاولتى وقد وجدت نفسى يامولاى أخيراً عاجزاً ومقصراً عن إيفاء هذه الأيام حقها ولا أكتمك يامولاى أن قصورى فى تأويل ما رأيت وتصوير ما شاهدت جعلنى لا أجرؤ على رفع كتابى هذا . وأخيراً قيل لى إن أى كاتب مهما بلغت قدرته وأى عظيم مهما كانت عظمته ، وأى بليغ مهما كانت بلاغته لا يستطيع أن يصور تلك العواطف الجياشة والإحساسات النبيلة مهما بذل من جهد وما أنفق من

وقت ، لقد استشعرت شعوراً منى بالعجز بكتابات الزعماء والقادة والمفكرين من الصحفيين والكتاب وقد استكتبت بعض الشخصيات البارزة فى المجتمع المصرى الشرقى كى أسد هذا النقص فى كتابى الذى شعرت به ولمسته فعساى أكون قد وفقت وعساهم يكونون قد وفقوا . ما تحدثت يامولاى مع واحد منهم فى هذا الموضوع إلا ووجدت حرارة الإخلاص ينطق بها لسانه ويدق بها جنانه فأيقنت أن هذا الحب هبة من الله قد وهبها لك وإن هذا الإخلاص هدية من الرحمن قد أهداها لشخصك .

وأخيراً يامولاى لا آخر لا أدرى ماذا أقول لك وماذا أقول فيك ، أأقول قد رفعك الله والله قد رفعك . أم أقول نور الله قلبك بالإيمان الصادق . فالله قد نوره ونورك أم أقول جملك الله بالوطنية الصادقة . فالله قد جملك أم أقول طهرك الله بالتقوى الحقة . فالله قد طهرك أم أقول حبب الله فيك قلوب رعاياك . فالله قد حببك . ولكن ما بقى لى إلا الدعاء أن ينسىء الله فى أجلك وأن يجعلنا من السوء فداك وأن يبقيك للكنانة الروح الملهم للمجد واليد الفعالة فى سبيل العظمة والرقى .

أيد الله يامولاى بالتوفيق مسعاك وحقق بالنجاح أملك ومبتغاك وثبت بالإيمان والإخلاص تاجك وجعل عهدك السعيد الوضاء أعظم عهد شهدته مصر فى تاريخها القديم والحديث وأمدك وأمد شعبك بروح من عنده حتى تتم ما بدأه المغفور له والدك العظيم وجدك الكبير .

نصر الله يامولاى أيامك وجعلك من عباده الصالحين إنه سميع قريب .

يوم الجهاد

احتفلت البلاد من أقصاها إلى أقصاها بيوم ١٣ نوفمبر احتفالا لم تشهده مصر من قبل إذ اشتركت جميع الهيئات السياسية والاجتماعية والأدبية في هذا الاحتفال اشتراكا قومياً دل على تغلغل الروح القومية في النفوس، وهب الشعب وقد قويت عزيمته واشتدت في سبيل الاستقلال الصحيح والحرية التامة رغبته ومشيئته. وتاقت للرفعة نفسه وأعد للجهاد الأكبر عدته وللكفاح الشاق أهبته. لقد كان هذا الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩٤٣ شبيهاً بزميله في سنة ١٩١٨ سعى الزعماء على اختلاف نزعاتهم وتباين آرائهم ليحققوا فيه آمالهم، ولينالوا من المجد والخلد ما ناله الثلاثة من قبلهم، سمعنا خطباً طويلة عريضة وآمالا سامية عالية وخططاً مختلفة متباينة، ووعوداً حارة عذبة، ورغم الاختلاف في الخطط والتباين في وجهات النظر فإن إجماعا كاملا شاملا انعقد على رأى واحد واتفق على موضوع واحد هو التعلق بالفاروق والتغنى بمآثر الفاروق والإعجاب بالولاء والوفاء الصادرين للفاروق من الشعب ومن الشعب للفاروق.

ويأبى يوم ١٣ نوفمبر إلا أن يكون يوماً شعبياً. يشترك فيه الشعب والشيخ والحكومة فيحتفل الشعب به الاحتفال الباهر، ويرسل الملك حفظه الله إلى ضريحى الزعيمين سعد وشعراوى من يضع الورود والرياحين وإلى بيت الزعيم عبد العزيز فهمى أطال الله حياته من يزوره ويهنيه، ويأبى هذا اليوم الأغر أن يكون يوم الجهاد في مصر فحسب بل يوم الجهاد في لبنان

بل يوم الجهاد فى الشرق إذ تعتدى ثلة كانت لأمتنا من قبل قوة مسيطرة على شعب كان من قبل محتلا وأضحى اليوم حراً طليقاً . وبالرغم من أن الأخير كان ضعيفاً إلا من إيمانه أعزل إلا من إتحاده فقيراً إلا من أبطاله . وبالرغم من أن بعض المتشائمين قد حفروا لهذا الشعب الصغير قبره . وأعدوا له كفنه إذ قامت فرنسا الكبرى تعلن الحرب على لبنان الصغرى وإذ يجتاح السنغاليون الأذلاء مدن لبنان العزلاء . وإذ يتمخض الفن الحربى الحديث بدباباته وطائراته ومدمراته وغواصاته عن مبادىء جديدة قديمة حسب الناس أنها قد استودعت دار الآثار وخشى البعض من دعاة التردد والهزيمة من هذه القوة الغاشمة فرددوا كلمات الاستسلام والخضوع . وإذا بالفاروق العظيم يقذف قنبلته الداوية فيرتج لها العالم . ويرسل المليك صيحته القوية فيحملها الأثير إلى ربا لبنان وإلى تخوم لبنان ويبعث بتهديده إلى من يستحق التهديد ووعيده إلى من يستأهل الوعيد فترتجف عزائمه وتخور قواه ويحاول الرجوع عن مقصده . هنالك ينقلب اليأس رجاء . والانخذال نجاحاً ، والاستسلام انتصاراً وفلاحاً تشجع اليائسون وتقدم المترددون فاندمجت مصر فى لبنان ولبنان فى مصر عيدنا عيدهم ، جهادنا جهادهم ، فاروقنا فاروقهم هم لنا ونحن لهم ، هم منا ونحن منهم . ودافع لبنان الصغير الأعزل عن حريته دفاعاً قوياً جباراً قابل النيران فما ضعف وما استكان ، جابه الدبابات والطائرات بالجرأة والثبات وهتف اللبنانيون الأعزاء فى كفاحهم . باسمين اثنين الفاروق ولبنان ورفعوا فى جهادهم علمين اثنين علم مصر وعلم لبنان . كانت هنالك فى لبنان ثورة من أجل لبنان وهنا فى مصر أيضاً ثورة من أجل لبنان . كان هنالك كفاح وجهاد ونضال وجلاد وكان هنا أيضاً نضال وجهاد

وكفاح وجلاد . أريقت هناك دماء ، وأريقت هنا أيضاً دماء ، كانت فى مصر ثورة من أجل لبنان كان الفاروق قائدها ، وكانت فى مصر قومة وكان الفاروق صاحبها ، وكانت فى مصر غضبة وكان الفاروق باعثها . هذا فى مصر وفى لبنان . أما فى غير مصر وغير لبنان ، فى شتى البلدان العربية صدى لما فى مصر وما فى لبنان . هناك غضبات وحركات ترديد لما فى مصر وما فى لبنان . هناك وهنا وهنا وهناك ولد جنين عزيز ، بدأ يتحرك ، وظهر هلال جميل بدأ يكتمل ، وإذ أوشك الأمل الحلو فى الوحدة العربية أن يتحقق بمعونة الفاروق . الفاروق قائدها ورائدها ، والفاروق مشجعها ومعضدها . الدنيا كلها تتطلع إليه كباعث للنهضة ، ورمز للوحدة ، واتفقت القلوب والأفئدة على زعامة الفاروق للعروبة . كل من فى الشرق والغرب يرنو إليه ، كل من فى الوجود يتطلع إليه . الدنيا بأسرها تتحدث عنه . إنه للقائد نعم القائد والزعيم نعم الزعيم . ويوشك الحلم الجميل أن يتحقق والأمل الحلو أن ينفذ لولا أنه :

« حدث فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم (١٥ نوفمبر) فى طريق الإسماعيلية قرب القصاصين أن اصطدمت سيارة حضرة صاحب الجلالة الملك بسيارة نقل . وقد أجريت الإسعافات اللازمة لجلالته فى أحد مستشفيات الجيش البريطانى ، وتبين بعد عمل الأشعة أنه يوجد شرخ بسيط حوالى السنتيمتر بالحرقفة اليسرى مع رضوض بسيطة ، والحالة العامة جيدة . والنبض والحرارة طبيعيان ، وقد وافق الأطباء على أن ينتقل جلالته إلى قصر عابدين غداً صباحاً » .

كيف وقع الحادث ؟ أين رحمة الله بالفاروق وبنا ؟ أين لطف الله به

وبنا ؟ يا هول الفاجعة ويا لعظم المصاب . ما صدقنا والله الخبر . فرحمة الله الشاملة الكاملة ، الواسعة الجامعة ، تأبى أن تفجع ملايين عديدة من النفوس المؤمنة فى أعز عزيز لديهم ، وأثمن شيء عندهم وأقرب الناس إلى قلوبهم . داخلنا اليأس والشك ثم عاد لنا اليقين والأمل فانقذانا من موت محقق وحزن وأسى أليمين . لقد أراد الله لقلوبنا الآمنة المطمئنة أن تجزع فجزعت أشد جزع .. ولنفوسنا الفرحة المرحة أن تحزن فحزنت أكبر حزن . لقد كان العمال المصريون الذين يشتغلون فى القصاصين هم أول من علموا النبأ ، فهرعوا فزعين جزعين ليروا جلية الأمر ، ولم يكونوا يعرفون أن الحادث لجلالته ، لحبيبهم ومليكهم الفاروق وإلا لما استطاعوا المسير إليه ، والإسراع لنجدته ، لقد انخلعت قلوبهم واقشعرت نفوسهم ، فاندفعوا بهاتف من نفوسهم الحية وضمائرهم النقية . فلما رأوا أن المصاب طبيبهم وحبيبهم ، غشيتهم سحابة من الغم المفاجيء والأسى السريع ما جعل القوى الجلد منهم يغمى عليه ، والرابط الجأش يفقد الوعى ، تحمل من تحمل ، وضعف من ضعف ، وسقط من سقط . كان الجميع كأن على رؤسهم الطير ، فهم ولا شك المصابون . لقد كانت أول كلمة نطق بها الفاروق ساعتئذ « لطفك يارب » « الحمد لله » وكان جلالته كعهد الناس به دائماً العطوف الشفوق ، حتى فى أشد الظروف وأحرج الأزمان . لقد سأل أول ما سأل عمن معه ، فكان حقاً هو الفاروق . وتكاثر العمال وكلهم يود لو يستطيع شفاءه بحياته ، وحمل إلى حجرة العمليات فأدهش أطباءه بقوة تحمله وتجلده ، وبروحه الفتية التى لاتهتز للمصائب مهما كانت ، ولا تضعف أمام الكوارث مهما تكن . كان والله يبتسم لقضاء الله وقدره ،

ويشير على الأطباء بما يجب عمله . لقد كانوا هم المرضى وكان هو الطبيب ، وتلك سمة من سمات الرجال الأقوياء . . .

وطير الخبر إلى المديرية ثم إلى الوزارة ، ثم إلى السراى ثم إلى الأمة جميعاً . وحضر على جناح السرعة محمود بك عبد الرحمن مدير الشرقية حينئذ وحكمدارها ، ثم وزير الداخلية ، وكانت ديمقراطية الجزع والفزع بادية على الجميع . كلهم مطاطىء الرأس مبلبل الفكر ، غير متماسك البنيان ، وامتلأت المستشفى التى غدت منذ تلك اللحظة « سراى » وأصبحت فى تلك الساعة كعبة وعاصمة ، امتلأت بوفود لا حصر لها ولا عدد ، وكان فى مقدمتهم أحمد حسنين باشا — رجل الوفاء — والدكتور على إبراهيم باشا — رجل الطب — ، والدكاترة : الكفراوى ، والنقيب ، وكامل حسين ، أطباء الملك . وهامت وفود الشعب من كل حدب وصوب ، وحاول بعض أولى الأمر أن يبعدوا تلك الحشود عن المستشفى من أجل راحة الملك ، وأقسم الجميع أنهم لن يبرحوا هذا المكان حتى ولو على أسنة الحراب . وأجاب بعضهم : « ماذا تريدون يا أولى الأمر منا . . . سنقف إلى ما شاء الله كأن على رؤسنا الطير ، لن تسمعوا منا إلا دقات قلوبنا الجزعة الفزعة ، ولن تروا إلا دموعنا المتدفقة المنهمرة . أتظنون بنا البلاهة إلى هذه الدرجة ! أنعود إلى منازلنا ونترك مليكنا ونترك منزلاً به الفاروق مصاباً ! والله لن يكون ذلك . إننا جرحى ونحتاج إلى العلاج ، إننا قد صدمنا وفى حاجة ماسة إلى إجراء العمليات . دعونا يا سادة نقف بجوار المستشفى فكلنا فى حبه يا أولى الأمر سواء بسواء » . وغاب منطقهم منطق أولى الأمر ، فتركوهم تنطق قلوبهم لا ألسنتهم بالهتاف وتجأر بالدعاء . فقد جثوا على

بركبهم ، على رمال الصحراء يدعون الله أن يشفى لهم فاروقهم ، وأن ينقذ لهم مليكهم ، ويخرج بعض الأطباء ورجال السراى ليطمئنوا الشعب القلق الجزع . . .

لقد رغب الفاروق ألا يذاع الخبر حتى لا ينال شعبه الوفى من الخوف على صحته والانزعاج على حياته ما يناله ، فما أبر الفاروق بشعبه ، وما أوفى الشعب لفاروقه ، وكتم الخبر وقتاً ما ، ولكن القلوب المتعلقة بالحب ما كانت تستحق حب الفاروق ووفاءه ، لو لم تعلم من تلقاء نفسها حقيقة الأمر . لقد علمته بفطرتها . . .

اجتمع فى القاهرة من اجتمع ، واحتشد فى عابدين من احتشد ، تفيض أعينهم بالدمع ألا يجدوا ما يفتدون به لينقذوا حياة مليكهم ولو بحياتهم .

لقد دعوا واستجاب الله دعاءهم .

الخبر ينتشر

وكان رجال القصر أول من علموا بالنبأ ، ورجال القصر هم أشد الناس حباً للملك ، ومن أقرب الناس وفاء للملك ، وأكثر الناس تفانياً في خدمة الملك ، وأعظم الناس حباً للملك ، وليس ذلك راجع لأنهم موظفو القصر ، أو أبناء القصر ، بل لأنهم أولاً وقبل كل شيء مصريون وطنيون فاروقيون . لقد تلقى زعيمهم أحمد حسنين باشا رجل الإخلاص النبأ وكان في داره ، وإذا بجرس التليفون يدق ، وإذا محدثه بالإنجليزية أن الملك أصيب في حادث اصطدام ونقل إلى المستشفى بالقصاصين :

« لقد مرت ساعات رهيبة في حياتي ، خلال الطريق ، وسقطت طائرتي عدة مرات ، ولكني أستطيع أن أقول لك : إن هذه الساعة الرهيبة التي أمضيتها في طريقي إلى الملك هي أرهب ساعة من ساعات حياتي ، وزادتني رهبة عندما وصلت إلى المستشفى ، وسألت عن الملك ، فقيل : إنه في غرفة العمليات ، عندئذ كادت تخور قواي ، ولكني لم ألبث أن رأيت جلالته خارجاً من غرفة الأشعة وهو يضحك ، والطبيب الإنجليزي يقول : لا شيء خطير . . . وعندئذ فقط تنفست الصعداء » .

وقال علي إبراهيم باشا ، رجل الطب والوفاء :

إن الساعتين اللتين قضاهما هو والدكتور كامل حسين بك في طريقهما إلى القصاصين كانت من أشد ساعات حياته . . .

وقال الدكتور الكفراوي بك :

« إن أحرج ساعة في حياتي ساعة أن عرفت بحادث الملك . فلقد

جاءت إلى دارى سيارة ملكية صحبتنى إلى دار معـــالى حسنين باشا . ثم تحركت السيارة مدة ساعتين لم نتجاذب فيهما أية كلمة ، وفى المستشفى سمعت جلالة الملك يضحك فاطمأننت ، وعندئذ فقط تذكرت أنى أحيى لم حسنين باشا تحيته . . . . » .

وقالت حرم الفريق عمر فتحى باشا :

« كانت صدمة عنيفة لشعورى لم أستطع معها امتلاك حواسى ، ويكفى أن أقول لك : إننى كلما قرأت أخبار الملك فى الصحف بكيت ، وكلما سمعت هتاف شعبه بحياته بكيت ، وكلما سألنى أحد عن صحته بكيت ، وكلما تذكرت أن جلالته نائم فى سريره يتألم بكيت ، بكيت فى يوم واحد أكثر من عشر مرات . . . . » .

الحادث كما يرويه أول من شاهده

محمود عبد الرحمن بك مدير الشرقية السابق

كان ذلك حوالى الخامسة مساء من يوم ١٥ / ١١ / ١٩٤٣ ، وكنت متأهباً لمبارحة منزلى إلى نادى فاروق الأول الرياضى وإذا بالتليفون يدق وإذا بالمتكلم مأمور مركز أبو حماد يخبرنى بأن جلالة الملك أصيب من حادث اصطدام سيارة جلالته بسيارة للجيش الإنجليزى وأن جلالته نقل إلى مستشفى القصاصين نمرة ٦ فسألته من أين علم بذلك ، قال أخبرنى أحد العمال بالحادث فلم أتأكد من صحته لكنى بادرت إلى سيارتى بعد أن أخطرت الحكمدار بأن يحضر إلى دون أن أذكر له السبب وكان هو أيضاً مستعداً للخروج معى حيث كنت ذاهباً من قبل فجاءنى بعد خمس دقائق وأنا واقف

العجله من ثانية إلى ثانية وانطلقت بنا السيارة حتى مررنا بمنزل مأمور المركز (مركز أبو حماد) فأوقفت السيارة وكلفت الحكمدار أن يرسل منه إشارة تليفونية لحضرتى مفتش الصحة وحكيمباشى المستشفى بتبليغهما بأن المدير مصاب إصابة خطرة فى القصاصين ليحضرا على الفور فيكونا فى خدمة مولانا وقصدت من ذلك إلى أمرين : —

الأول — عدم إذاعة خبر لست متأكداً منه ولا عالماً بدرجه خطورته.

والثانى — أن يكون من رجالنا من يقدم خدماته الطبية ، إن كان ثمة حاجة وكلفت فى نفس الوقت مأمور المركز باستدعاء حرس من رجال الحدود كل ذلك تم فى سرعة لا يمكن تصورها . وواصلنا سيرنا فبلغنا مستشفى القصاصين حوالى الساعة الخامسة والنصف أى أننا كنا نسير بسرعة ١٢٠ كيلو متراً فى الساعة وأخذنا نتلمس مكان الملك وكل يردنا من مكان إلى مكان حتى بلغنا مكان حجرة العمليات . وعندها اعترضنا مدير المستشفى وهو ضابط انجليزى برتبة القائمقام وكان اهتمامه بالحالة ظاهراً فقلت له أنا المدير . أجاب أعرف ذلك ولكن لا سبيل إلى الدخول ومستحيل الاتصال بالملك فقلت له لا مستحيل الساعة واغتصبت طريقى ومعى الحكمدار حتى كنت على باب حجرة العمليات والضابط الإنجليزى يتبعنى فى دهشة وعدم ارتياح حتى تم كشف الأشعة وأنا واقف بالباب ، وخرج مولاى على الحاملة (النقالة) فقدمت نفسى إلى جلالته ومد يده الكريمة فتناولتها وقبلتها فى لهفة وحرارة ولم أره جزعاً ولا متخاذلا ، فارتد إلى الاطمئنان وقلت على الفور : سليمة يامولاى ، قال : « سليمة والحمد لله لاشىء يؤلمنى سوى هذه الناحية » وأشار حفظه الله ، إلى مكان الشرخ وعاود الكلام

« ولكن لا خطر » فحمدت الله وظللت ممسكا بيده الكريمة أتطلع فى كل وجهه وقد شملته الطمأنينة بل الثقة كل الثقة فى وجه الله الكريم حتى ظهر أحد خدمه ممن أصيبوا فى الحادث فسحب جلالته يده ليربت بها على ذلك الجريح ويسأله فى اهتمام واضح « كيف حالك — كيف أنت؟ » ونسى المليك جرحه وذكر جرح الآخر. ثم نقل جلالته إلى قسم (عنبر) أعده رجال المستشفى لجلالته وعندما وصل جلالته إليه وجد حرساً من رجال الحدود البواسل على الباب ودخول الغير وقبل مبارحة جلالته قسم العمليات أخذ يسألنى فى لطف خصه الله به جملة أسئلة عن كيفية عملى وكيفية وصولى وقد ظن جلالته بادىء الأمر أنى كنت بجواره أو قريبا منه عند وقوع الحادث ولعل مرد هذا الظن سرعة الوصول. أما الخبر فقد أخذ ينتقل بسرعة البرق مبالغاً فيه وامتلأت مستشفى القصاصين بعد رجال القصر والأطباء المعالجين بكبار المصريين ولم يذق أحد منا طعم النوم وإن كان رجال المستشفى جزاهم الله خير الجزاء قد جهدوا أنفسهم لإعداد ما فى الطوق من وسائل راحة الجميع.

والمهم فى هذا الحادث أن جلالة الملك كان فيه من ناحية نفسيته كأنه بغير حادث وكان دقيقاً فى الاستعلام عن كل شخص وعن كل شىء حتى عن كل منا وطريقة نومه وراحته. وقد ساهم فى راحة الجميع مدير السكة الحديد رجل العمل والنشاط « محمود باشا شاكر » ومدت أسلاك التليفون بسرعة البرق وأعد صالون بمحطة القصاصين كما أعد عربة أكل فاخرة بأمر جلالة الملك يتناول فيها المسافرون ما شاءوا على حساب جلالته

بين أفراد الشعب

لقد كانت درجة الجزع والهلع متساوية لا يستطيع أى إنسان أن يقول أنه تألم أكثر من الآخر ، ولا أنه انزعج أكثر من الآخر ، كلهم فى الألم والأمل سواء . لقد كانت مصر جميعاً تتصور الحادث الخطر فتجد نفسها وقد فقدت تماسكها وخارت قواها ثم يعود إليها رشدها فتتذكر لطف الله بفاروقها فتحمده ألف حمد وتشكره ألف شكر ، وأصبحنا ذات يوم وإذا الأجسام هزيلة لطول ما سهرت والنفوس عليلة لشدة ما جزعت والأفئدة كليلة من كثرة ما اضطربت . اسم الفاروق يتردد على كل لسان ، والدعاء له مقرون على كل شفة ، إذا قام المصريون من نومهم قالوا الفاروق . وإذا ذهبوا إلى مساجدهم وكنائسهم وبيعهم كان دعاؤهم للفاروق . وإذا تحدثوا وقلما كانوا يستطيعون الحديث ، كان حديثهم جرح الفاروق . وإذا تمنوا أو أملوا ، كانت أمنيتهم وكان أملهم شفاء الفاروق . فى البيت فى الشارع ، فى المصنع فى المتجر ، فى الجامعة فى المدرسة ، فى الترام ، فى القطار ، بل فى كل مكان لا نسمع إلا هتافاً حاراً ينطلق ، وأدعية طاهرة بريئة تتصاعد ، ونفوساً آمنة تحترق ، وقلوباً طاهرة زكية تذوب من الأسى والحزن .

وأصبحنا ذات صباح فإذا القصر العامر تتدفق إليه من طرقه المختلفة المتعددة جموع محتشدة وكتل بشرية متجمعة حجبت السماء عن الأرض والأرض عن السماء ، وفوق هؤلاء وأولاء أرواح تصعد ، وألسنة تشق عنان السماء تهتف للفاروق معقد آمالها ، ورمز أمانيها ، هتافات لم تسمعها السماء من قبل لقوتها وشدتها ، ودعوات لم تصعد من الأرض من قبل

لطهارتها وزكاوتها ، وهنا وهناك وفى بعض الأماكن هتافات لم تسمع ودعوات لم تلق مقاومة وهى فى طريقها إلى السماء ، حارة صادقة كدعاء الملائكة إلا أنها ممتزجة بالدموع ، وكهتافات الأولياء إلا أنها مختلطة بذائب القلوب . الأبصار كلها متجهة إلى القصر ، والأعناق كلها مشرئبة نحو شرفات القصر ، والقلوب كلها محلقة حول القصر . وما أخال القصر إلا جزع من تلك الأبصار الزائغة التى تتجه إليه فى قلق واضطراب ، والأعناق المتخاذلة التى تلتفت إليه فى جزع وهلع ، ولكن الفاروق ، ليس فى القصر يطل من شرفته المحبوبة على شعبه المحترق شوقاً لرؤيته ، الجزع قلقاً على صحته ، ولكن الفاروق ليس فى القصر يحي بيديه الكريمتين أمته ، فيحي موات الآمال فى قلوبها وينعش فواتر الهمم فى نفوسها ، تتسمر الأنظار نحو القصر ثم تعود بعين كسيرة منهزمة ، وهنا فقط تنهمر دماء ودموع من القلب والعين ، ومن كل مكان . دماء ودموع تنصب انصباباً وتنسكب انسكاباً حتى ليخشى أن يغشى على الأبصار والبصائر . لقد كانت صورة الفاروق التى يعمر بها كل قلب مصرى تنتثر حولها الدموع فتكاد تحجبها عنا فتقصيها قوانين الضياء ، وتدنيها قواعد الولاء . كان كل فرد منا يشعر بأن الملك يحوطه بعطفه ويشمله بلطفه وظرفه ويتقبل منه دعاءه ورجاءه . هذا فى حرم القصر ، أما فى خارج القصر ، فى جميع أجزاء مصر فجزع لا يوصف وحزن لا يقدر . الفلاح والعامل والصانع والزارع ، الغنى والفقير ، المالك والأجير ، الدعاء للفاروق تسبيحهم ، والهتاف له علمهم . كان هؤلاء وأمثالهم ممن لم يستطيعوا الذهاب إلى القصاصين أو إلى عابدين ، يسألون عن الملك بدموعهم فكنا لا نجيبهم إلا بدموعنا ، الدموع منهم تسأل والدموع

منا تجيب . لو أن كاتباً أجنبياً شاهد الفلاح وهو يترك حقله ليسأل عن الملك ، والصانع يغادر مصنعه لكى يسأل عن الملك ، ولو أنه رأى هذا الإجماع على الحب ، وهذا الانجذاب نحو الفاروق لقال لقومه : « جئتكم من مصر ، بلد العجائب ، بالأمس رأيناها تدهش الدنيا بآثارها واليوم تدهش الدنيا أيضاً بحبها لفاروقها » ولو أنه رأى هذا العامل الفقير المحتاج الذى يشتغل طول نهاره والجزء الأكبر من ليله ، لا يكاد يجد ما يتطلبه قوت عياله ، الصابر دائماً لأنه مؤمن ، المستسلم دائماً لأنه مصرى . يسأل كل سائر يتوسم فيه المعرفة كيف حال الملك ؟ كيف قضى يومه الملك ؟ وذلك قبل أن يسأل عن عمله ، وعن قوت عياله ، أيتعطل أم يظل على الطوى يومه وليله ، لو أنه رآه لآمن بأن الحب الفاروقى هو غذاء كل مصرى . ما سر كل هذا الحب ؟ ما سر هذا الإجماع فى الحب ؟ إنه والله لمعجزة كبرى . لا يعرف سرها .

فى طريق إلى كعبة المصريين

وذات صباح وجدت نفسى وسط قافلة بشرية ومظاهرة وطنية .
كنت خالى الذهن من معرفة أشخاصها ، ولكنى كنت على ثقة من أنها ذاهبة إلى عابدين أو إلى القصاصين ، وهل لغير هاتين الكعبتين المقدستين تتجه كل هاته الجموع والحشود ، التى ليس لكثرة عددها مثيل فى الوجود .

إن الشوارع لتزخر بالمتظاهرين وكأنها بحار عميقة ، ممتلئة بالماء ، وإن الناس ليتكدسون ويتراكمون وكأنهم إلى أرض الميعاد ذاهبون . وما شعرنا إلا ونحن داخل المحطة ، لم نستطع أن نشق لأنفسنا طريقها حتى ولا بشق الأنفس كما لم تستطع الطوائف التى لحقتنا أن تشق طريقها فيما بيننا ، وكنا كثرة لا تحصى ولا تستقصى . مختلفين فى السن والأزياء ، والطبقات والثقافات ، فمنا العامل الذى ترك عمله ، والصانع الذى تخلى عن مصنعه ، والموظف الذى لم يعبأ بوظيفته ، والطالب الذى هجر جامعته أو مدرسته . وأذن مؤذن الرحيل بالاستعداد للرحيل ، فانطلق الجمع الحاشد داخل المحطة كالحجيج داخل جدة . وبالرغم من أننا جميعاً كنا فى حالة إعياء شديدة إذ أننا قضينا ليلة طويلة فى أحلام لذيذة وأوهام مريرة ، فالفاروق مؤانسنا بروحه ، والفاروق مخيفنا بجرحه ، وإذ أننا تحملنا ما تنوء به العصبة أولو القوة من تحيات الملايين من أقاربنا وأهلينا وأصدقائنا وذوينا ، ومن دعوات الملايين من المصريين الفاروقيين الذين لم يستطيعوا الذهاب إلى القصاصين والذين كانوا يشيعون كل مسافر ، ويحسدون كل ذاهب . بالرغم من كل ذلك اندفعنا إلى القطار بقوة وفتوة . . . نتزاحم ونتراكم ونهتف

وندعو من أعماق القلوب . شفاك الله يافاروق ، رعاك الله يافاروق ، كلنا فداك يافاروق ، وإننا لنكاد نبكى حين نهتف ونجثو حين ندعو ، حتى لقد أثر منظرنا فى جنود الأجانب . فصاروا على الرغم منهم يشتركون معنا فى الهتاف وفى الدعاء ، ويساهمون معنا بحركة آلية عصبية أوجدتها ظروف الزمان والمكان . وإن هتافاتنا ودعواتنا لتنجذب بشدة إلى السماء وكأنها أجيبت أو كأنها لبيت .

سبحانك اللهم سبحانك ، هذه مصر جميعها قد أجتمعت دعوة لذلك الحب الذى زرعته ، وذلك الولاء الذى أوجدته ، وذلك الوفاء الذى أنبته وذلك الإخلاص الذى مكنته ، وذلك الإيمان الذى ثبتته ، فكانت خير أمة أخرجت للناس فى حبها وولائها وإيمانها ووفائها . ودقت ساعة المحطة السابعة وبالرغم من شدة دقاتها لم تستطع أن تحجب أصوات دقات قلوبنا ، وانطلق الجمع يهتف مرة أخرى بشدة وحماسة أنست الجنود المكلفين بحفظ النظام واجباتهم ، فراحوا يهتفون مع الهاتفين ، ويصفقون مع المصفقين ، ويدعون بإخلاص مع الداعين . وقابلت الجموع القطار على بعد أمتار بل محطات ، وما هى إلا دقائق وثوان حتى كان ما على ظهر القطار أكثر مما فى باطنه ، وإنه ليمشى وسط كتل بشرية ، فلقد كانت الأرصفة ملأى بالمسافرين والقطر مزدحمة بالحجاج الفاروقيين ، ولم يبق فى داخل المحطة أو خارجها موضع لقدم ، عمال أتوا بملابس العمل لكى يؤدوا الواجب الأول للعامل الأول . طلاب أتوا بكتبهم وحقائبهم يؤدون الدرس الأول للمدرس الأول ، وموظفون وتجار ومزارعون وصناع جاءوا ولا أمل لهم فى الحياة سوى رؤية المصرى الأول والاطمئنان على صحة الزعيم الأول ، فى داخل

القطار وخارج القطار ديمقراطية منقطعة النظير ، وتعاون ليس له مثيل ، فى أى وقت أو جيل ، فالازدحام الشديد الذى لا يستطيع أن يصوره أو يتصوره إلا أولئك الذين شهدوه ، والذى كان كافياً لإحداث كوارث شديدة وحوادث أليمة ، كان مثلا حياً من أمثلة الديمقراطية والتعاون ، لا فرق بين مسافر مهما سمت مكانته وبين آخر مهما بلغت درجته . والعاجز الذى أبى إلا أن يزور ، والطفل الذى قرر أن يحج ، والمريض الذى صمم على الذهاب إلى حيث يقيم ملك البلاد . كان كل واحد منهم يجد من الجميع المعاونة والمعاضدة ، يحملونهم فوق أكتافهم ، ويضعونهم فوق رؤسهم ، حتى لقد امتلأت العربات بالآدميين الذين حشروا فيها حشراً ودفعوا فيها دفعاً . لقد كنا نتمنى الهواء فلا نجده ، ونتلمس الضوء فلا نعثر عليه ، ومع ذلك أحسسنا بنسيم عليل استنشقته القلوب لا الرئات . وكاد يأخذ منا العجب كل مأخذ لولا أن قائلا قال : لا تعجبوا ياقوم فان نسيم الفاروق قد هب .

وأغرب ما وقعت عليه عينى منظر أطفال صغار لا يقلون عن التاسعة ولا يزيدون عن العاشرة يحاولون أن يشقوا لأنفسهم طريقا بين تلك الجموع التى يضل فى وسطها القوى المتين . وما كان أجدرهم أن يكونوا بجوار بائعى الحلوى أو وسط الحدائق والمتنزهات يلعبون ويمرحون ، لولا أنهم مصريون فاروقيون . تقدمت إلى أحدهم ـ وأنف حقدى راغم ـ « كيف تركت والديك فى مثل هذا الوقت من الصباح ؟ وما حالك بهما لو افتقداك على مائدة الغداء ؟ وما حالها معك لو عرفا مكانك هذا ؟ وما الذى دفعك الى أن تخاطر بأمثال هذه المخاطرات التى لا يقوى عليها إلا كل

قوى متين .وأنت مازلت غض الاهاب؟ » قلت له هذا فى كلمة أو فى نظرة ولكنه أشاح بوجهه عنى بعد أن نظر إلى نظرة كاد يقتلنى بها ، ثم قال ما ترجمته: « ولماذا أتيت هنا وماحال أصدقائك وصديقاتك لو تفقدوك ظهراً وعشاء فما وجدوك ؟ أتعتقد أنك وإخوانك الشباب أكثر منا حباً للملك لأنكم أقوياء فى الجسم كباراً فى السن ؟ انه مليكنا كما هو مليككم ، ووالدنا كما هو زميلكم ، إنه يشعر نحونا بحنان الأبوة وعطفها أكثر منكم أو مارأيته يعطف على الفقراء منا ويمد يد المساعدة لنا ، ويشجع المشروعات الخيرية التى توفر السعادة والهناءة للفقراء منا .

إنه ياسيدى قد أنجب لنا حبيبتنا فريال وزميلتنا فوزية . لئن كنتم تحبونه فنحن نعشقه . . . وإن كنتم تعشقونه فنحن متيمون به . أما تعلم أن تلك القلوب الطاهرة البريئة أمثال قلوبنا هى خير ذخر للفاروق ولمستقبل دولة الفاروق . لقد نشأنا على حبه ، وربينا على الإخلاص لعرشه وأمته ، لقد كنت ياسيدى طفلا قبل اليوم ، وما أظنك إلا عرفت كيف يكون حبنا وولاؤنا — إنه لأثمن شىء فى جبين هذه الأمة . فوالله لو أن أختى سعاد التى تصغرنى بعامين استطاعت المجىء معى لأتيت بها وكنت فخوراً بمجيئها معى . لقد بكت بكاء حاراً حينما قلت لها بالأمس فيما بينى وبينها إننا ذاهبون إلى الملك ، لقد حملتنى له قبلة ، ولكن هل أستطيع أن أبلغها له . إن ذلك فيما يلوح لى غير مستطاع ، فلأكتف بتقبيل المستشفى . وابن عمى سمير الذى داسته الجموع بالأمس عندما كان يحاول الذهاب . لقد بعث معى وردة بيضاء سوف تكون أسعد حظاً من قبلة سعاد ، سوف أنتهز فرصة انشغال الحرس بكم وأقذفها فى حجرة الملك ، وإنى واثق أن

جلالته سيشم فيها رائحة الحب . وأحمد نجلى بوابنا قد بعث معى خطاباً للملك ، أتدرى بما كتبه وكيف كتبه ؟ وغادرنى الطفل الصغير ليشترك مع الهاتفين بصوته الظريف ، وإنى أكاد أحلف بقدسية الحب الفاروقى لو أن الملك سمعه حين يهتف وحين يدعو ، لشفى تواً من مرضه . أما أنا فكنت سعيداً بهذا الطفل سعادة لو أن مال قارون كان لى ما سعدت به مثل تلك السعادة . لقد حاولنا أن نوسع له الطريق — وأن نخلى له مكاناً فوالله ماقبل ، لقد أحب أن يشق فى سبيل الفاروق كما يشق الناس . حتى يشعر بلذة الشقاء . . .

وانطلق القطار يتهادى رويداً رويداً . . . فامتزجت هتافات بتأوهات وصيحات بابتسامات — لقد نجح من نجح ورسب من رسب ، وركب من ركب ، والذين قدر لهم أن يشاهدوا أولئك الذين تركهم القطار ، والأسى الذى كان بادياً على وجوههم بالرغم من أن القطار الثانى سيلحق القطار الأول بعد قليل ، ليعجبون أشد العجب من تغلغل الحب الفاروقى فى نفوس الشعب الفاروقى . . .

وازدادت سرعة القطار حتى ليوشك أن يحترق ، ولكن الركب مع ذلك يشكو البطء . . . لقد رغب فى أن يدفع القطار أو يجره . . . لم يكن القطار سائراً بالبخار ولكن بالإخلاص الحار المنبعث من قلوب ركابه الأطهار ، وكلما رأى الفلاحون القطار غادروا مزارعهم ليتغنوا باسم الفاروق ، وليشتركوا كعادتهم فى تحية كل ذاهب إلى الفاروق .

وهذا رجل عجوز أحنى الدهر ظهره ، وبيض الفقر شعره ، وقرب المرض نهاية عمره ، قد نادى طفله الصغير كى يقوده إلى حيث الهتاف الذى

يشق عنان السماء ، ويدوى فى أرجاء الفضاء . ووالله ما أدرى أكان منظر الشيخ العجوز وهو يردد الهتاف بحماس يحسده عليه شباب العشرين فى القرن العشرين أجمل أم منظر الطفل وقد نسى أباه أو جده وانطلق يجرى وراء القطار عله يحمله أو عله يحمل تحيته أم العكس . . . عاطفة نبيلة ما أعظمها وما أفضلها ، وما أجملها وما أنبلها . ووالله لست أدرى أمنظر تلك الفتاة التى كانت تملأ جرتها من الترعة فما كادت تلمح القطار يدوى حتى انطلقت تدعو وتهتف ، أم منظر تلك الطفلة الساذجة وهى تسأل أمها فى إحدى المحاط عن الفاروق وعن أولاده ومأكله ومشربه ، فتجيب الأم فى سذاجة وبراءة طاهرتين نبيلتين ، « إنه الحبيب لكل محب ، والصديق لكل انسان ، والرفيق لكل محروم . لقد زارنا فى كوخنا الصغير وشاركنا فى طعامنا البسيط . لقد كان عمدتنا يأبى أن ينظر إلينا وشيخ قريتنا يغسل يده إذا صافحنا ، وخفير العزبة يتعالى علينا ، حتى كانت زيارة الملك فكانت الفتح المبين ، عرف الناس أننا مثلهم ، وعرف الأغنياء أن الفاروق لا يفرق بيننا وبينهم بل يفضلنا عليهم . وعرفنا نحن قيمتنا ومكانتنا ليتنا جميعاً فداؤه » .

وقام القطار من بنها بعد أن حاولت تلك الأم أن تتعلق به فما استطاعت وانحنت الأشجار التى قابلتنا لكى تحيينا ولو استطاعت النطق لرحبت بنا تمايل من فرط شوقها حتى لكأنها هى الأخرى مشتاقة للفاروق تواقة للمليك ، ومن عجب أن تمايلها كان دائماً جهة القصاصين .

وكلما مر القطار على قوم جلوس هرعوا إليه وحاولوا سبقه لكى يمتعوا أنفسهم وقلوبهم بما يبديه الركب من حب وولاء ولكى يمتعوا غيرهم

عما يبدونه من إخلاص ووفاء . . .

لقد تمنيت أن يكون الفاروق معنا ، ليرى الحب المجسد والإخلاص القوى والولاء الأكيد .

لقد كان حباً طبيعياً وإخلاصاً إلهياً وولاء ربانياً ، لم يكتسب لأنه موجود من الأزل ، ولم يشتر لأنه لا يباع فى أى مكان .

أما تلك المحاط التى كنا نمر بها صغيرة كانت أم كبيرة فلم تكن تستطيع أن ترى مبانيها . لقد امتلأت من أسفلها إلى أعلاها بالجموع والحشود التى كانت تحاول أن تندس فينا ، وتأبى إلا أن تركب فوقنا وفوق القطار لكى ترى الملوك ، قلنا لهم « إن الملك شفاه الله لا يقابل أحداً لمرضه فأنيبوا عنكم وفداً » . قالوا : « مادمنا لا نستطيع أن نرى الملك فلنر المكان الذى فيه الملك وما دمنا لا نستطيع أن نقبل بحرارة وإخلاص يد الملك فلنكتف بتقبيل المكان الذى فيه الملك » . قلنا : « ادخلوا تكدسوا » . لو أن شاكر باشا كان معنا لوجه كل قطاراته إلى القصاصين وماأظنها كانت تكفى . لقد شغلت نفسى بعد العربات ومافى العربات ، عشرون عربة فيها عشرون ألف . لقد كان يجلس على ركبتى أربعة أشخاص وعلى كتفى ثلاثة ومع ذلك لم أشك . ولقد كنت مستريحاً ، وكأننى فى أفخم صالونات المجتمع الراقى . . كنت قد أعددت العدة لكى أكتب طول الطريق ورغب إخوانى فى أن يهيئوا لى مكاناً هادئاً . ولكنى لم أستطع أن أخط حرفاً واحداً ، كل شىء يغرينى بالكتابة ، الكلمة العادية التى تخرج من فم أى إنسان كافية لأن يكتب عنها مقالات ، النظرة التى ينظرها أى مسافر لو ترجمت إلى لغة الكتابة لما وسعتها صفحات عديدات . وكان الطريق حلواً لذيذاً مغرياً بكل

وسائل المغريات . وكلما قطعنا عشرات الكيلو مترات أحسسنا بالراحة والأطمئنان وبتضاعف الإخلاص والإيمان . والصحراوات الواسعات ، ومخلفات الحرب من طيارات ودبابات ، وأشجار النخيل الباسقات ، كانت كافية لأن تشغلنا ولكنها ما شغلتنا . وفجأة شعرنا بأن قلوبنا قد قفزت من أماكنها والقشعريرة المريرة قد انتابت كل أجسامنا وتملكنا شعور عجيب غريب لا يوصف ولا يعرف ولكنه يحس فقط ، شعور خاص بنا مقصور علينا . وسألنا فقيل لنا « هنا كانت الموقعة الكبرى ، هنا حدثت الصدمة العظمى ، هنا جرح الفاروق » وخفف القطار من سرعته حتى لكأنه قد أثقله ما أثقلنا وهزه ما هزنا وأهمه ما أهمنا . ودهش أصدقاؤنا من أبناء تلك الجهات عند ما قلنا لهم تلك هي القصاصين . قالوا وكيف عرفتموها وما سبق لكم علم بتلك الأصقاع ؟ . . قلنا « عرفناها بشذاها ، بحرارة الحب المنبعثة منها ، من كثرة الانظار المتجهة إليها ، إنها مصر وهل فى الدنيا من يجهل مصر . إنها لعلم على بقعة قدسية قدستها نفحات الفاروق ، وعلم على صحراء جرداء فى أقاصى مصر حولها الحب إلى جنة تهوى إليها الأفئدة ، وإلى قبلة تتجه إليها الصلوات والدعوات » .

كانت أفقر مكان فغدت أغنى مكان ، كانت فقيرة مجردة إلا من رمالها وحصبائها فأصبحت اليوم تفاخر عواصم الدنيا وتتحدى أجمل بلدان العالم ، قد قدر لها فى يوم واحد أن تكون ينبوع ألم وراحة . . وهناءة ودعة . . ويأس وأمل . . شقيت وسعدت فى يوم واحد . وشقينا بها وسعدنا فى يوم واحد . تتمنى قصور الشرق أن تنتقل إليها وتأمل جنات الغرب أن تجتمع فيها .

كانت المنأى السحيق والمنفى البعيد ، فغدت المهوى العزيز والمهبط السعيد ، ترعرعت فيها ديمقراطية فاروقية تفاخر أعظم الديمقراطيات ، وأقوى الديمقراطيات ، وأى ديمقراطيـة أروع أو أبدع من أن يجتمع فى قرية نائية العظماء والوزراء والخفراء فيكونون فى كل شيء سواء بسواء . أقبل الجميع من كل حدب ينسلون ، يقيمون فيها الساعات الطوال لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ، بل يظهرون من الولاء ما يستطيعون .

وأشهد الله أنى منذ أن تركت القطار فى محطة القصاصين لم أر الطريق إلى المستشفى ولم أعرف عنه شيئاً ، ما رأيت أرضه ولا عرفت طوله ولا عرضه ، الجموع التى اجتمعت فيه ليس لها أول أو آخر ، حتى لقد امتلأت الصحراء المجاورة لضفتى الطريق بما لم يتسع له الطريق .

أما الجنود الأجانب الذين كنا نمر عليهم أو يمرون علينا ونحن سائرون فى طريقنا أيضاً ، كانوا مبهوتين مندهشين ، معجبين متعجبين من هذا الإخلاص المتين . ووصلنا بعد لأى وجهد إلى المستشفى ، فخشينا أن نقترب منها . فوقفنا بعيداً عنها فلا الحراس هم الذين منعونا ولا الحواجز هى التى حالت بيننا وبين المضى فى مسيرنا ، ولكنها الرغبة والخشية ، وما عجبت فى حياتى إلا من حب تتبعه خشية ومن عشق تمتزج به رهبة . واقتربنا ، وملأنا الجو هتافاً ، قيل «انصتوا فالمليك شفاه الله نائم» ، قلنا : لن تسمعوا منا إلا دقات قلوبنا وهى تسرع أو تبطىء ، ولن تروا إلا قلوبنا وقلوب أهلينا وهى تحلق بجوار العلم المصرى تحميه وتفتديه ، وتباركه وتهنيه ، وتطهره وتزكيه ، وأنصتنا ولم نتكلم ، وطال ليل صمتنا ولكن لم

نعم ، نفى عنا الذكرى خاطر ألم .

وتطلعنا إلى المستشفى الذى صار كعبتنا ، وتمنينا لو أننا نقلناه على أرؤسنا بدمائنا إلى القاهرة حتى يطمئن شعب قلق وتهدأ أمة ثائرة .

ورأى رجال الحاشية بذكائهم ما يجول بخواطرنا فأحبطوا مؤامرتنا . قالوا لنا « أنيبوا وفداً منكم يتشرف بمقابلة المليك » وظهرت الأنانية هنا فقط بأجلى معانيها . وأظهر صورها . وما أحببت الأنانية إلا فى هذا المقام .

قلنا : « كلنا فى حب الفاروق سواء فلم يباح لبعضنا أن يحيا ويموت الآخر ، وأن تصح طائفة وأن تظل أخرى مريضة ، كلنا فاروقيون جنود الملك ، أحباؤه ، أصدقاؤه »

قالوا : ولكنها إرادة المليك ، وصدعنا توّاً بالأمر . وتألف الوفد ، وذهب مشيعاً بدعوات الموفدين . . .

ها هوذا الفاروق المعظم يحيي مبتسما ، ويشكر مبتسما ، ويسأل عن إخواننا مبتسما ، وينصحنا مبتسما ، كنت أعددت نفسى لكى أخطب ، وسهرت ليلتين بطولها أفكر فى الخطبة ، لكنى عندما رأيت الفاروق جالساً فى حجرة ضيقة بها سرير صغير وبضع كراسى وبضع كتب ومصحف شريف وصورتين للأميرتين المحبوبتين فوزية وفريال ، لم أستطع أن أقول شيئاً .

كانت لنا رغبة فى الكلام ولكننا لم نكن نقدر على الكلام ، وعدنا من عند جلالته وبودنا ألا نعود وبودنا أن نظل إلى الأبد فى جواره نتغذى بالتطلع إلى وجهه الوضاح ، ونحيا بالاستماع إلى صوته المحبوب .

ولم يعرفنا إخواننا لأول وهلة ، لقد أنكرونا . لشد ما اختلف منظرنا عما قبل . تغيرنا ، زدنا ، كبرنا ، خلقنا خلقاً جديداً .

قلنا لهم : إن المليك حفظه الله يشكركم . قالوا : «هو أولى بالشكر منا» .
قلنا لهم : لقد تفضل فمنحنا عطفه ، وأحاطنا برعايته . لقد جئنا لنظهر له الحب فأظهر لنا ما هو أسمى من الحب ، وعاودنا جميعاً - من تمتع بالزيارة الملكية ومن لم يتمتع - إحساس غريب فأحببنا أن نسمع الملك صوتنا بعد أن أسمعناه وجيب قلوبنا ، وبالرغم من أن الأوامر كانت قد أعطيت لنا بعدم الكلام ، فلقد خشينا ألا نقدر على مسك ألسنتنا . وانفجرنا ، وكانت قنبلة كنت أنا مرسلها وثورة كنت أنا مشعلها « عشت لمصر يافاروق ، دمت لمصر يافاروق ، فاروق يازين الملوك ، الأمة تفديك يافاروق » واشترك كل من بالمكان فى الهتاف بهذا النشيد ، حتى من أمرونا بعدم الكلام ، وتلك معجزة من معجزات الحب ، وحملنا بعض الورود إلى المرضى ، لقد حسدناهم وغبطناهم وتمنينا لو كنا مكانهم . إنهم مرضى وبكل مريض جرح بليغ ، وإنهم جميعاً فى حالات خطرة ، والموت أقرب إليهم من حبل الوريد ، ولكنهم سعداء بالفاروق ، أصحاء بجوار الفاروق ، وهل فى الدنيا بأسرها أسعد ممن يسكن على بضع خطوات من المليك يسأل عنه صباحاً ومساء ويسأل هو عنه صباحاً ومساء . يوزع عليهم الهدايا ويوزعون عليه الحب الذى امتلأت به قلوبهم . وقابلنا الممرضين والممرضات ، لقد كانوا كالحور العين ، علا البشر على وجوههم ، وبدا الابتهاج على محياهم ، وأشرق السرور فى قلوبهم ، لقد زادوا بسطة فى العلم والجسم ، والجمال والكمال . لقد تحدثوا عن عطف الفاروق ، ولطف الفاروق ، وظرف الفاروق . وحدثناهم عن سجايا جلالته وخلائقه العظيمة فكنا نتسابق فى القدرة على الوصف ، ولكننا كنا نشترك فى العجز عن الوصف .

لقد تمنيت أن أكون ممرضاً مادمت لم أستطع أن أكون مريضاً وذلك لكي أحظى بخدمة الفاروق، والتطلع دواماً إلى محيا الفاروق. إن ديمقراطية الملك، وخلائق الملك، وابتسامة الملك، هي التي جعلت حب الملك والولاء للملك لا يقتصر على أفراد شعب الملك بل تعداه إلى الكثيرين ممن لم تسعدهم الظروف بأن يكونوا من رعايا الملك، وإلا فسل هؤلاء الجنود الأجانب الذين أغرموا بحب الملك، وتيموا بحب الملك، وسل هؤلاء الممرضات والممرضين الذين تفانوا في خدمة الملك، والذين ضحوا بكل شيء في سبيل الملك فذلك عن سر حبهم للملك. . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

لقد كان من عادة هؤلاء الأجانب إذا تحدثوا عن الملك فاضت اعينهم وقلوبهم بالبشر. وامتلأت أفئدتهم ونفوسهم بالسرور لقد قال الأطباء أمامي: إن الخطر كان على جلالته عظيما. وإن الجرح كان بليغاً، والفضل في شفاء جلالته سريعاً هو الطب الحديث ومعجزة الطب الحديث، وما تمتع به جلالة الملك من تحمل واحتمال. قلت كلا وألف كلا، إن الدواء الشافي والبلسم السريع هو هذا الحب. إن تلك الملايين المملينة التي جاءت هنا والتي لم تستطع المجيء. دعاؤها هو الطب. هتافها هو الطب، حبها العنيف معجزة الطب، هذا هو الواقع وهذه هي الحقيقة، أما ما عدا ذلك فشيء لا أومن به على الاطلاق. حب الشعب ياقومي هو الدواء، ولاؤه هو البلسم الذي لا يحتاج إلى طبيب، أما طبكم أيها السادة فعامل مساعد ليس إلا. وضحكوا، وضحكنا.

وجاءت دفعة أخرى فأحببنا أن نخلي لها المكان لكي تنتعش كما انتعشنا، ولكي تسعد كما سعدنا، ولكن كيف نترك الفاروق. أنعود إلى

منازلنا وليس معنا الأب الأول . لن يكون ذلك قط حتى ولو بتنا فى العراء . قلنا لأول الأمر ذلك فضحكوا منا . قلنا « لا نريد منكم شيئاً ، لا مأكلا ولا مسكناً . سنفترش الصحراء ونلتحف السماء ، ونظل نأكل مما رزقنا الله من حب للفاروق وإخلاص وولاء للفاروق إننا لم نأت إلى هنا إلا بأمر من ضمائرنا وقلوبنا وأرواحنا ، فاتفقوا معها إن أمكنكم . إن نقل القصاصين برمالها وحصبائها وبيوتها لأسهل علينا من الرجوع دون ضيف القصاصين » وحاولوا إقناعنا بالعقل والمنطق والعاطفة وكل شىء فما استطاعوا . وقال أحد الماكرين « ولكنها إرادة الفاروق » قلنا : « إرادته هى العليا » . وعدنا من حيث أتينا محوطين بعاملين من أشد العوامل . عامل الحب وعامل الطاعة ، لقد كانت الوفود المقبلة أكثر من المدبرة والمدبرة أقوى حيوية من المقبلة ، ألا ليت المكان اتسع لمصر جميعها من خط استوائها ، إلى عروس بحرها . . .

ولقيت الطفل الصغير ، يهتف ويدعو ، قلت تستطيع الوقوف والهتاف وأنت لم تأكل بعد ولم تشرب وليس فى الطريق ما يؤكل وما يشرب . قال حسبي ما أكلته ، لقد أكلت ما يكفينى طيلة حياتى ، وارتوى قلبي ارتواء لا ظمأ بعده أبدا ، لقد غدوت أسعد طفل فى الدنيا بأسرها ، لقد أديت الأمانات . قبلت المستشفى ، أرسلت الوردة . كتبت إسمى فى سجل التشريفات . ليت يومنا كان دهرا . وقبلته وبودى ما تركته ، وغبطته وما حسدته ، وركبنا القطار . . وعدنا إلى القاهرة مسرعين مهطعين لتبليغ تحيات الفاروق إلى أهلينا وذوينا ، فتقبلوها منا شاكرين ، داعين .

أيام غـــــراء

وفى اليوم التالى « أمضى صاحب الجلالة الملك ليله مستريحاً ونام نوماً هادئاً والحرارة والنبض طبيعيان » وفيه تشرفت القصاصين بزيارة صاحبة الجلالة الملكة نازلى وسمو الأميرات المحبوبات ورئيس الوزراء وبعض الوزراء . والزعماء ، ووفود لاحصر لها ولاعدد . منهم من يستقل سيارته، ومنهم من يركب القطار ، ومنهم من يمشى على رجليه . والجزع باد على الجميع ، حتى لقد خشى رجل الطب والإخلاص على باشا إبراهيم عاقبة هذا الجزع . وأشار على مولاه بالعودة إلى عاصمة ملكه حتى يطمئن الشعب الجزع . قال الملك : « ولماذا لا أبقى حتى استكمل راحتى . فقال على باشا : إن المكان ضيق يامولاى . قال الملك : إن ضيق المكان لا يكون سبباً فى مغادرته . لقد احتملنى فيجب أن أحتمله » . وأعطى أحمد حسنين باشا — رجل الوفاء — إلى الوطنى المخلص الأستاذ مصطفى أمين مندوب الأهرام تحية إلى الشعب من ملكه .

« لقد كلفنى مولاى أن أشكر بإسم جلالته شعبه الوفى على هذه المظاهر الصادقة والعواطف الناطقة والشعور الفياض . ويقول مولاى إنه أحس بهذا الشعور يبعث فيه دفء العافية . ولو استطاع لنهض من فراشه ليحيى أمته فرداً فرداً . ولقد حرص مولاى على ألا يتجشم الشعب مشقة القلق على صحته . فرغب فى ألا يذاع النبأ . ولكن النبأ مع ذلك قد ذاع . وكان من أثره هذه المظاهر العظيمة الكريمة . وقد وصفها مولاى بأنها تبادل شعور

بينه و بين شعبه » . والحق يقال إن الشعب ظهر جميعه بمظهر لم يوجد فى في أى بلد من بلدان الدنيا جميعاً . فأذهل الغريب كما أدهش القريب بحبه الذى ليس له مثيل أو ضريب .

فى القاهرة لاترى إلا الدموع منهمرة ، والدعوات مرتفعة ، والهتافات تشق عنان السماء . وليس الشعب وحده هو الذى احتل منذ الفجر مسالك القصر ، بل السفراء والقناصل ورجال الأعمال والمال وضباط الجيوش المتحالفة وجنودها ، والتأثر مسيطر على الجموع ، والحزن مستول على نفوس الجميع . قال أحد الأجانب : ما رأيت الملك فاروق ولكنى رأيت ماله من المحبة فى القلوب ـ قلوب المصريين ـ ولذلك جئت أستفسر عن صحته . وقال آخر : « مارأيته إلا مرة واحدة جذبتنى شخصيته ، وغيرتنى ديمقراطيته ، وتسيطرت على حيويته ، فلم أستطع الفكاك من حبه . إنه رجل قبل أن يكون ملكا » . وقال ثالث : « ماحسدت المصريين على شىء إلا على فاروقهم . إنه أثمن درة فى سماء الوادى » وفى القصر ترى أروع الديمقراطيات ، وأبدع ضروب المساواة ، لافرق بين عمال أو باشوات ، أو صناع أو بيكوات ، كلهم يقابلون فى القصر بأجمل الترحيبات . لقد سبقنى فى كتابة إسمى فى دفتر التشريفات أحد كبار الباشوات ، وانتظرنى حتى أكتب إسمى وبعض العبارات أحد رؤساء الوزارات . وخارج القصر كما فى داخل القصر ، أعلام ترفرف وحناجر تهتف ، وميدان عابدين قد ضاق بالجمع على تكدسه وتراكمه . . . أمم تذهب وأخرى تجىء ، وكل مكان فى القاهرة يضج بالزائرين ويموج بالوافدين .

وفى الإسكندرية وطنطا والمنصورة ودمياط ، العمال والطلبة ، الأعيان

والموظفون ، الفلاحون ، قاموا بإظهار عواطفهم كل على النهج الذى يرتضيه ويبتغيه . ماتركوا مكاناً إلا عطروه بإخلاصهم وولائهم ، وماتركوا دقيقة تمر وإلا واستغلوها فى هتافهم ودعائهم .

لقد تمنوا أن يفدوا الملك بأرواحهم ، فافتداهم هو بجرحه ، ورغبوا فى أن يضحوا فى سبيل الملك بصحتهم وسعادتهم ، فضحى هو بصحته وسعادته . فنعما الفداء ونعمت التضحية ، يامليك الفداء والتضحية .

أمضى حضرة صاحب الجلالة ليله فى راحة تامه ، ونام نوماً هادئاً . والتحسن فى صحته مستمر ، والحالة العامة جيدة . هذا هو اليوم الثالث فى القصاصين كان يوم الصلوات والدعوات . لقد رفع إلى جلالته مطارنة القدس وقنا والفيوم تمنيات إخواننا الأقباط لجلالته بالشفاء ، وتوجه حاخام اليهود الأكبر إلى رجال طائفته ليشكروا الله على نجاة الفاروق . واستحالت مصر جميعها من منبع الوادى إلى مصبه مسجداً واحداً ، وفماً واحداً ، وقلباً واحداً ، لايهتف إلا للفاروق . الناسك المتعبد ، الصوفى المتهجد ، ذو المثل الأعلى لكل إيمان ، القدوة الطيبة لكل إنسان . لقد قال الذين شهدوا الحادث ساعة وقوعه : إن مهارة جلالته فى القيادة حالت دون وقوع خطر عظيم ، ولكن الملك حفظه الله وأبقاه قال : « كلا ! بل المصحف الذى أنقذنى » . . . إيمان صادق ما أجله ، وشعور قوى ماأنبله ، وحل ميلاد الأميرة فريال كبرى الأميرات الفاروقيات والوالد الصالح والملك الصالح بمنأى عن القصر . الأميرة فى عابدين ، وهو فى القصاصين ، لم يكن بجوارها ، ولم تكن بجواره . لقـــد قضى الله أن تذوق الأميرة الصغيرة الأسى الذى ذاقته كل المصريات . وهل بعد ذلك ديمقراطية من

الديمقراطيات . وأرسلت الأميرة هدية تقليدية أبى فضل جلالته وكرمه إلا أن يوزعها على خدم المستشفى ومرضاها . لقد كان أثرها فى الجميع أثراً بالغاً لا يوصف . أغرورقت عين أحدهم بالدموع حينئذ . وتذكر ابنته التى تركها فى لندن ، ورأى — وحقاً ما رأى — أن المليك يقدر أعظم التقدير شعور الوالد حيال ابنته البعيدة عنه .

وكان أول سؤال سأله : هل من جديد فيما يتعلق بلبنان ؟ وكان ثانى سؤال : كيف حال المرضى والمساكين بالقصاصين ؟ وأمر أن توزع اللحوم والهدايا عليهم ، بل كان يتأكد من عدالة التوزيع . وكان ثالث سؤال : كيف نام رفاق الملك ؟ وكيف أكلوا ؟ لقد كان وما زال يحنو على الصغير والكبير ، والغنى والفقير ، لأنهم رعيته وهو راعيهم جميعاً . وكان وما زال يشمل بعطفه المصرى والشرقى والأجنبى ، لأنه صديق الجميع ، ومالك الجميع . فلماذا إذن يندهش الناس من هذا الإخلاص المكنون ، الذى أظهرته القصاصين ، والفاروق آسر الجميع ، والمستولى على قلوب الجميع .

لئن كانت الأهرام أعجوبة العصر القديم ، لحب الفاروق أعجوبة العصر الحديث .

يوم رابع : تحسنت صحة حضرة صاحب الجلالة الملك تحسناً واضحاً وقد مضى يومه وليله فى راحة تامة ، ولقد استطاع أن يطلع على برقيات الملوك ورؤساء الحكومات التى انهمر سيلها على القصر ، واستطاع أن يقرأ الصحف وأن يقابل أعضاء مكتبى البرلمان ، وبعض رؤساء الأسر والعشائر ، ووفداً من عمال السكك الحديدية .

قال أحدهم لأحمد حسنين باشا رجل الوفاء :

« مر الموكب الملكى لافتتاح البرلمان ولم نر فى مركبة التشريفات جلالة الفاروق يبتسم لشعبه ويحييه كعادته فلم نستطع صبراً ، وجئنا إلى معاليكم لنسمع مايطمئننا على غالى صحة الفاروق . التى نفتديها بالمهج والأرواح . وإننا لنضرع إلى الله فى كل وقت أن يبقى الملك رمز الوطن وحامى الإسلام » .

وكان العامل يبكى وهو يتكلم . وكان العمال وكبار الموظفين يبكون وهم يستمعون . وأجمل منظر رأيته فى حياتى منظر الأعيان يفسحون للفلاحين الطريق لكى يزورا المستشفى بجلاليبهم وطواقيهم ، ولكى يقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات مع عبارات ساذجة من إنشائهم الساذج ، ومنظر الزعماء والأقطاب وهم يندمجون فى الشعب .

قال أحد كبار الأجانب : « إن هذا الإخلاص الحكومى والحزبى والشعبي دليل واضح على أنكم تكونون جبهة تدعم العرش » .

وقال أحد جنود القوات المتحالفة : « لقد برهنتم أيها المصريون بحبكم العنيف ، وبعشقكم القوى ، على أنكم جديرون بمحبة الفاروق لكم ، وإخلاصه لبلدكم » .

وسرى النبأ فى خارج مصر . . . فى الدنيا بأسرها . . . فاستقبلت دور المفوضيات والسفارات المصرية ، وزراء ورؤساء وزارات ، وأقطاب وزعماء الأمم المختلفة ، مبدين أسفهم لوقوع الحادث ، شاكرين الله على عطفه بالملك والشعب . وطفقت صحف العالم ومحطات إذاعات العالم تتغنى بمآثر الفاروق ، وأيادى الفاروق ، وتروى قصة القصاصين .

يوم خامس : استمر التحسن فى صحة حضرة صاحب الجلالة الملك وقد أمضى اليوم فى راحة تامة ، واستمرت الوفود تجىء وتذهب والجميع مأخوذون بسحر جلالته وديمقراطيته ، حتى لقد غدت تلك الديمقراطية رمزاً على الفاروق يزرعها فتنمو ، وينبتها فتثمر . ولا يضن بها على كبير أو صغير . وتلك هى عادته منذ كان طفلا صغيراً ، ومنذ أصبح أميراً للصعيد ، ومنذ صار عاهلا لمصر . فكلما نمى نمت ، وكلما ترعرع ترعرعت ، حتى آتت أكلها بإذن ربها . لقد كان محمد أمين السلمانى أحد الجنود الفلسطينيين قد تعود أن يحمل إلى مقام جلالته يومياً الصحف ليكون — على حد تعبيره — فى شرف خدمة الملك ، وكان الملك يتقبل منه تلك الخدمة بالشكر والثناء ، وكان أحد رجال الحاشية يحمل هذا الإسم فكان ذلك موضع ابتسام جلالته فى كثير من الأحيان .

وتحسنت فى اليوم السادس صحة جلالة الملك تحسناً كبيراً ، فاستيقظ جلالته بعد أن نام نوماً هادئاً عميقاً ، واتصل تليفونياً بالأميرتين المحبوبتين . وتلقى مئات المصاحف من مختلف الأشكال والألوان والأحجام ، وكذلك توالت طاقات الزهور والرياحين إلى جلالته فأمر جلالته بتوزيعها على المرضى ، كما تلقى كتباً مكتوبة بالدم وبرقيات بسيطة ساذجة . وتلقى على إبراهيم باشا برقية يقول صاحبها فيها : نناشدكم الله أن تكون يقظاً أميناً كعهدنا بكم . ولما سئل عن مرسلها ، قال ابن عبد الملك ، قال أحد الحضور : لابد أن يكون ابن أحدنا .

وكان أول ما فعله فى اليوم السابع أن قرأ القرآن بصوت مرتفع وقال

ما دمت لا أستطيع اليوم أن أؤدى الصلاة فإنى أقرأ القرآن كل صباح . . واستمع جلالته للإذاعة الخارجية ودعا حاشيته وأنبأهم نبأ إطلاق سراح الشيخ بشاره الخورى وتفضل فهنأه بعودته إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية وهنأ الشعب اللبنانى بدفاعه عن كرامته ونضاله فى سبيل حريته . وتشرف اليوم بمقابلة جلالته زعماء المعارضة . فخرجوا من لدنه وهم يدعون لجلالته بطول العمر فى خدمة مصر المحبوبة .

قال الدكتور أحمد ماهر باشا : « ان أى لفظ لا يستطيع أن يعبر عن الأثر العظيم الذى تركته هذه الزيارة فى نفوسنا » . .

وقال الدكتور حسين هيكل باشا : « الشيء الذى سرنى بنوع خاص أن الحالة المعنوية لجلالة الملك ليست أقل مما كانت عليه فى أى وقت وجلالته فى كامل صحته . ولقد كان تفكير جلالته فى بلده أكثر من تفكيره فى نفسه » .

وقال مكرم عبيد باشا : « ليس فى الدنيا ما يعدل شعور الشعب نحو مليكه واهتمامه بصحته سوى عناية المليك بشئون أمته وتفكيره الدائم فيما ينهض شعبه ويكفل تحقيق مثله العليا . . وحسب مصر فخراً أن يكون على رأسها مليك لا تشغله الشواغل لحظة واحدة عن آمالها والعمل على تحقيق هذه الآمال » .

وقال حلمى عيسى باشا « وكان حديث جلالته يشعر بحبه لبلاده واهتمامه بمصلحتها ولقد أثر هذا الموقف فى مشاعرنا وإنه مما يثلج صدور المصريين جميعاً أن يروا مليكهم وهو فى حالته الصحية — أكمل الله له الشفاء — يهتم بصوالح مصر ولا يشغله شيء إلا هذه الصوالح . .

وامتلأت القصاصين فى اليوم الثامن بالمصاحف التى وصلت هدايا

لجلالته . . وحب جلالته للقرآن الكريم لا يعدله حب . . نسى ذات يوم أحد أساتذته فوضع كتاباً فوق المصحف فما كان من جلالته وكان أميراً حينئذ إلا أن رفعه وقال له : « إن كتاب الله لايعلوه شيء » .

وكان اليوم يوم الأزهر . ووفد الأزهر على رأسه الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الذى قدم لجلالته تحية الأزهر « لقد تجمعت قلوب الأزهر حوالك وسرى بدل الدم فى عروقها حبها لك مما جعلها تضطرم لجرحك متمنية لو كان فى شغافها بدلا من أن يكون فى ظفرك . . وها هى ذى جموعهم التى سابقت الريح إلى مشفاك . داعية الله الذى حرسك ورعاك . . أن يلطف بشعبك ويسبغ عليك قواك . .

وكان اليوم التاسع كالعاشر كالحادى عشر كالثانى عشر . . شعور الوفاء ينمو ويزداد . . ومحبة المليك لشعبه والشعب لمليكه غدت مضرب الأمثال فى كل البلاد . .

انتوى بعض الخيرين أن يرفهوا عن الفقراء والمحتاجين بمناسبة فضل الله على الشعب المصرى الأمين فقال جلالته : ان أحب شيء لقلبي عمل يكون من ورائه الترفيه عن الفقير والمحروم . .

وبلغ جلالته ما فعله سعادة محمود شاكر باشا من العمل لراحة كبار الزوار فقال : « أنا يهمنى راحة الصغار قبل الكبار . . . » وأبى جلالته أن تتحمل خزائن الدولة مشقة الاستفسار عن صحته . . فأعجب لرحمته بمالية الدولة وهو كل شيء فى الدولة . .

وأصيب فى الزحام الطالب أحمد محمد عبد العال ونقل توا الى المستشفى العسكرى وتفضل جلالة المليك فأرسل اسماعيل تيمور بك للاستفسار عن

صحته فرجاه الطالب فى أن يقبل بالنيابة عنه يد المليك . وقال إنه لم يعد يشعر بألم بعد أن تفضل المليك بالسؤال عنه . وبقى معه أحد مدرسى مدرسته للعناية به . . وأمر المليك المحبوب أن يستريح المدرس فى استراحة كبار رجال القصر . . . وشفى الطالب سريعاً بعد أن رعته يد الله . . . وخففت عنه ديمقراطية الفاروق . . .

وشخص فى اليوم الثالث عشر إلى جلالته وفد لبنان ، رافعاً باسم المصريين المتحدين من أصل لبنان واسم جميع اللبنانيين فى أوطانهم ومهاجرهم إلى حضرة صاحب الجلالة مليكهم المحبوب فاروق الأول آيات الإخلاص مشفوعة بأسمى عواطف الشكر على ما حبا به جلالته لبنان من عطف ورعاية ويسألون الله تعالى أن يمن على جلالته بالشفاء العاجل وأن يحفظ ذاته الكريمة ذخراً لمصر وفخراً للعرب أجمعين .

فكان رد جلالته السامى : « إنى مع لبنان إلى النهاية . . . » فياله من رد عظيم . . .

وكذلك كان اليوم الرابع عشر إلى اليوم الثانى والعشرين . . . حتى غدت مظاهرات القصاصين أحدوثة الدنيا بأسرها . . صحف العالم . . محطة إذاعاته . . . لا تتحدث إلا عن القصاصين . . وساكن القصاصين .

أحصى أحد الضباط الإنجليز زوار الملك بمليون نفس وكان فى إحصائه من المتواضعين .

وبلغت أموال الخير التى تبرع بها أهل الخير حداً لم يكن يتصوره أى إنسان .. مطاعم تنشأ هنا وهناك .. مستشفيات تشيد هنا وهناك . . مجموعات صحية تقرر هنا وهناك . مما يحتاج ذكره إلى مجلدات ومجلدات .

طوبى لك ياشعب فاروق هذه الأعمال الصالحات الباقيات الخالدات .

واستعد ذات يوم الرئيس روزفلت حين إقامته بالقاهرة لزيارة المليك في مستشفاه النائي لولا أن أصيب ببرد شديد . واستفسر تشرشل عن صحة جلالة الملك . . وشكره أحمد حسنين باشا بالنيابة عن الملك .

وقال شانج كاى شيك رئيس الصين : « إنى معجب بملك مصر وأتمنى أن أراه وأن يزور جلالته الصين عند ما تستقر الأمور » .

ورأى الرئيس عصمت أينونو لزاماً عليـــه وقد جاء مصر أن يزور القصاصين لتحية الملك الصديق .

وأبى وفد من الجنود السوريين واللبنانيين أن يبرحوا القصاصين دون أن يزوروا الملك . وضحك الملك واستدعاهم وشكرهم وحيا الشعور الجميل فيهم . قال أحدهم : « لقد حضرت كثيراً من المعارك بفرنسا سقطت حولى القنابل فلم أشعر بالرهبة التى أحسست بها وأنا ماثل أمام الملك » .

تلك هى أيام القصاصين الغراء التى ليس بعدها من أيام غراء .

٣٢ يوماً فى القصاصين

للأستاذ أمين فهيم بديوان جلالة الملك

كاتب هذا المقال ، الأستاذ أمين فهيم ، السكرتير بديوان جلالة الملك كان أحد ثلاثة قضوا فى القصاصين ثلاثة أسابيع وقد كتب هذه الكلمة عما رأى وشاهد :

« فى الطريق الضيق الذى يشق الصحراء ، ويلتوى تارة ويعتدل أخرى فى الفضاء والخلاء ، وحيث انطلقت السيارات ، انطلق من السماء شعاع الرحمة ، ونزل على الأرض لطف المولى ، ووقفت عناية الله بين الحادث ونتيجته ، وحالت رعاية الرحمن بين الشر والخير فالتفتت نفوس فى هذا الفضاء الخلاء . فاذا الملك كله لله ، ولعناية الله ، ولفضل الله ، وإذا المكان المقفر من الآدميين عامر برسل السماء ، وعناية السماء ، وعين السماء التى لا تنام . . .

وكأنما العناية أحبت هذا الفضاء الخلاء وأحبت من شملته فى هذا الفضاء الخلاء ، فرأت أن يكون انقاذه فى الصحراء وشفاؤه فى الصحراء .

كان اليوم الأول ، وكانت النفوس يقيمها ويقعدها قلق الآدمى ، وعجز الآدمى ، واستعجاله للخير ، وضيقه بما لا يتفق ومراده وما يحب . غير أن إنساناً فهم فى الألم سر الصحراء ولمس فى جراحه يد السماء ، فسكن وهدأ ، وآمن فقوى على ما عجز عنه الآدميون سواه ، وانتصر على القلق والضيق والاستعجال .

طالع من رأوه فى أول صباح ، فاذا التشجيع منه لا منهم ، وإذا السؤال عنهم يسبق سؤالهم عنه ، وإذا من جاؤه ليواسوه يحسون أنهم يأخذون ولا يعطون ويستفيدون روحياً ولا يفيدون ، وإن الجريح أقوى بإيمانه فى هذه الصحراء الخلاء منهم جميعاً .

فلما اجتازت الشمس الأفق أول مرة ، ونقلت نسائم الصباح إلى أسماع هذا الراقد فى سريره البسيط فى الحجرة الصغيرة العارية أصوات أبناء وإخوان من العمال والزراع ، يرسلون إليه تحياتهم من بعيد هتافاً ونداء ودعاء ، يتكرر ويتردد لينوب عن أيد لو مكنت لصافحت وصدور لو خيرت لهجدت وعانقت . . .

امتلأت الحجرة الصغيرة أنساً ، بل امتلأت الصحراء الخلاء أنساً ، كان كل صوت من هذه الأصوات البريئة الخالصة المخلصة التى نسى أصحابها نفوسهم ليذكروا مليكهم ويدعوا له ويحيوه ، كان كل صوت يخلق فى الحجرة الصغيرة وفى الصحراء المحيطة بها إنساناً مؤنساً ، ورفيقاً ساهراً ، وحبيباً تراه الروح وإن لم تقع عليه العين . . .

هم الإنسان الراقد أن يتحرك فى موضعه ليجيب صوت قلبه ، ويرد تحية أحبابه ، فحالت دون ذلك أهوال من الألم ، فنادى على بعض من ببابه ليفتحوا النافذة عسى أن يفهم دلالة فتحها أولئك الهاتفون الداعون ، وإن كانوا لا يفوزون بمرأى وجهه المشرق الراضى يطل عليهم منها .

لم يكن قد نام ليلته ، وكان من حوله قد قضوا ليلتهم ساهرين ساهدين ، فلما دخلوا عليه قرأ سهادهم فى وجوههم ، فاشتغل براحتهم ، وأبى إلا أن ينظر كيف ينامون ، وماذا يأكلون فى هذا المكان البعيد الذى نزلوا به

لجاة ، وعلى غـــير استعداد . . .

ولم يلبث أن نقل هذا الإنسان الراضى المستبشر رضاه إلى كل نفس طالعت وجهه ، فاذا بكل خارج من غرفته الصغيرة ، من طبيب أو ممرض أو ممرضة أو خادم صغير ، تلمع فى وجهه ابتسامة مشرقة مؤنسة مطمئنة ، ويغمره إحساس بأنه صادف لحظة حلوة من لحظات حياته وآونة جميلة يصح أن يذكرها فيما تعيش به النفس من اللحظات الجميلة السعيدة إذ لم يخدم هؤلاء ملكا . ولم يدفعهم سحر تاج . وإنما تسارعوا بعد أن رأوه إلى إنسان يحبه من رآه . لأنه ممن يحب حتما ،كائنا ما كان موضعه من الناس .

نقل هؤلاء ما رأوا إلى مرضى آخرين ، جمعتهم المستشفى بعد أن فرقت بينهم أسباب الحياة . فرقدوا فى أسرة كسرير ذلك الإنسان ، وغرف صغيرة عارية كغرفته . فأحب هؤلاء زميلهم الجديد ، الذى أرادت عناية الله أن يكون ضيفاً فى مستشفاهم ، فجعلوا واسطة التراسل والتخاطب بينهم وبينه مرضى المستشفى يحملونه تحياتهم إليه فيحملهم تحياته إليهم ويستفسر عنهم كما يستفسرون عنه ، ويخصهم دون نفسه ، بما يقدم لساحته من باقات زهر أو علب حلوى ، ليكون لهم منها رمز مادى من العطف والمحبة وحسن الصحبة.

ثم ها هو يبتسم لمن يحدثه عن أمد رقاده ليحاول أن يظهره قصيراً غير طويل ، كأن الألم والرقاد عنده مجالهما الجسم وحده ، أما عقله ، وروحه ، وقواه الأدبية والنفسية ، فكلها حرة طليقة سليمة ، منصرفة إلى خدمة بلاده ، وأداء واجبه ، كملك ، ورئيس ، ووالد .

مضى اليوم الأول ، ولم يعد العزيز إلى قصره ، فأخذ قلب مصر الخافق المضطرب يدفع نحو هذه البقعة النائية فى الصحراء الجامدة تياراً متدفقاً

غير منقطع من الأحياء الأوفياء من كل من استطاعت حمله قدمه أو دابة أو عربة أو مركب أو قطار .

كان العزيز موقناً أن شعبه يحبه ، لأسباب يدرك شعبه بعضها ولا يدرك البعض الآخر ، كان موقناً أنه يحب شعبه لأسباب بعضها مدرك وبعضها غير مدرك . ولكن حجم هذا الحب وكتلته وأبعاده كلها فى كل اتجاه لم يكن قد تقصاها علمه ، أو أحاط بها يقينه إلا فى أيام القصاصين .

تساوى فى اللهفة الكل : السيدة التى تحتكم إلى قلبها ، والصغير الذى يعيش على حلمه والشاب الذى يستهدى مثله العليا فى نور عواطفه المشبوبة ، والرجل الرزين بين معقوله ومنقوله . الكهل الذى علمته عثرات الماضى ألا يتحمس ولا يندفع ، والشيخ الفانى الذى لم تبق له الأيام ما يتحمس به أو له . . . كل أولئك عصفت بهم اللهفة عصفاً ، لا تمييز فيه ولا تفريق . لم تكن لهفة عمياء ولا خرساء . . أدركت عظم الخطر الذى تعرض له الوطن ، وعظم النجاة التى فاز بها حين تعرضت حياة هذا الإنسان للخطر وحين فاز بالنجاة ، فترجمت هذا الإدراك بكل لسان ، واستعانت عليه بكل دلالة ، وبدت متفقة على غير اتفاق ، متسقة من غير تنسيق ، جميلة مؤثرة لأنها لم تتجمل ولم تستعد . .

واليوم الثانى يمضى ، والثالث والرابع والخامس . . والأيام تتوالى وتنقضى ، وسيدنا على بشره وصبره ، ووفود الخير والوفاء والولاء والمحبة لا تنقطع ، يزيدون ولا ينقصون ، داعين مستبشرين ، شيقين إلى رؤية صاحبهم ، فان لم يتيسر فلا أقل من رؤية رئيس ديوانه ليحمل لسيدهم رسالتهم ، ويحمل رسالة سيدهم إليهم . ورئيس الديوان هنا فى الصحراء فى

بيئته ، لا يعرف الإعياء ولا الكلال ، لم يغادر موضعه إلا مرة أو مرتين، فى عمل فى القاهرة ، ومع هذا ففيه مرح وشباب ملحوظ هنا فى الصحراء غير معهود هناك فى الحضر . كان أحدنا ينقر باب حجرته الضيقة العارية فيقطع حديثه فى التليفون ، أو يضع قلمه ، أو يلتفت عن محدثه . فنقول « وفد كذا . . . » ، فيجيب « حالا ، حالا . . . »

لم يكن هناك موضع لاستقبال الوفود ، ولم يكن فى المستطاع إعداد موضع مناسب ، لأننا كنا على نحو ما ضيوفاً . ثم لأننا كنا فى مستشفى . وقد شاءت مبالغة أهل المكان فى الكرم أن يعدوا للاستقبال خيمة ، صفت فيها مقاعدمما يستعمله المستشفى ، ووضعت فى وسطها مائدة عليها دفتر ، وفرشت أرضها بحصير أبيض . . فكانت هذه الخيمة ، الحجرة التى يستقبل فيها عواد الملك فى مرضه من أقاصى البلاد ، ومختلف البيئات . لا فخفخة ولا أبهة وما الحاجة إلى الفخفخة والأبهة فى مقام اللهفة والمحبة والوفاء ! !

لم يكن بد من أن يمر بى بعض الوافدين ، يحيوننى على غير معرفة ، ظرفاً منهم ، وأدباً ، فأتعرض للسؤال ، وأحياناً للاستجواب : فهذا يسألنى عن السيارة التى وقع بها الحادث ، ما لونها وما ماركتها ، وهل أصبحت لا تصلح ، وآخر يسألنى كيف تلقت جلالة الملكة وجلالة الملكة الوالدة خبر الحادث ، وثالث يسألنى ما الذى حبب الملك فى المقام فى هذا المكان ، ويميل على إنسان فيقول : « ماذا أكل الملك فى هذا الصباح » ، وآخر يجذبنى جذباً رفيقاً ، ظاناً أنى من أصحاب النفوذ ، فيقول لى : « إذا دخلت على مولانا فسلم لى عليه ، وقل له سليمة إن شاء الله . . . » وأحياناً تكتسحنى نظرات شاب يحاذينى ثم يبسط أمامى ورقة بها شعر أو زجل أو كلمة أوحت

إليه بها المناسبة . . بل لم أسلم ممن يسألنى من أنا . . وما عملى فى هذا المكان وأشق من هذا كله من كان يسألنى عن أسماء كبار الموجودين وأحوالهم ، ومن كان يعرفنى ببعضهم بغير ضرورة ، ليقول بعد ذلك أنه تربطه بهم قرابة أو معرفة . .

لم يكن من كل ذلك بد لأن كل عائد لا يريد أن يرجع بما رجع به زملاؤه يريد أن يستزيد شيئاً شخصياً خاصاً ، ينفرد بعلمه أو بذكره أو بروايته .

كان عملى مثلى ضئيلا بطبيعة الحال . لكن لم يكن ليدع لى فرجة طول النهار ، وبعض الليل . وكنت أنام أحياناً فى حجرة أشارك فيها ضابطاً عظيما يقرأ قرآن الفجر ، فكنت أصحو على قراءته وأحاول أن أزن نفسى به ، فتشيل كفتى . .

كنا نأكل معاً فى خيمة واحدة . . ولم يكن حديث المائدة طويلا ، لأن العمل هناك لم يكن يسمح بالحديث الطويل . أما سمر الليل فكان متعذراً ، وعلى تعذره فقد استهلكنا فى الأسبوع الأول كل ما نستطيع أن نتراواه أو نتطارحه ، فأخذ بعضنا يحس بالحاجة إلى الأخبـــار والجوع إلى أسباب الحديث .

لقد عود الله مصر أن يجيئها المنبه الروحى من الصحراء ، وقد جاءها هذه المرة قوياً دافقاً . ومن حق الملك على شعبه ، والشعب على ملكه ، أن تبقى هذه اليقظة فى الشعور العام ، وأن تدوم ، لأنها إن دامت لن تقف فى سبيلها عقبة ، ولن تستعصى عليها غاية .

يوم الفتـــح

. . . ودفعنى قلبي المشوق وفؤادى المتلهف أن أذهب إلى القصاصين آخر يوم كيما أمتع نظرى وقلبى بمناظرها الماطمية ، وبآياتها الفاروقية ، ووطنيتها الشعبية المصرية . وكيما أودع أهلها الذين استضافونا أياماً كنا فيها الأهل وكانوا هم الضيوف ، كانوا الزوار وكنا أصحاب البيوت . وكيما أعيد مع الملك ، لأملأ جوارحى وإحساساتى ومشاعرى بمظاهر الود الربانية ، وبمعجزات الحب الوطنية ، ومظاهرات الشعب اللاتصورية ، التى هى هنا مهبط التفكير ومبعث الإلهام . وكنت أظن أن الجموع لن تذهب إلى القصاصين . بل ستنتظر فى القاهرة ، ليكون مجال التطلع أكثر ووقت الرؤية أكبر . ولكنى كنت فى ظنى من الواهمين ، حشود أكثر من قبل ، وجموع أزيد من كل يوم ، وجهتها القصاصين .

ولاء لاينقطع . . . حب لايفنى . . . إخلاص لايزول ولا يبلى ، يتجدد كل يوم وينمو كل ساعة ويكبر كل دقيقة . ذلك حال الملك مع شعبه . وذلك حال الشعب مع مليكه .

كانت آخر ليلة فى القصاصين سهرناها وقضيناها بجوار مستشفى القصاصين أسعد ليلة فى حياة الموجودين . وفى حياتى أنا الذى لا أعرف السعادة ، ولا أذوق الراحة . والذين يعرفون طبيعتى وفطرتى ، ومقدار عبوسى وتجهمى ، ومبلغ آلامى وأحزانى . والذين يقدرون فلسفة الألم فى نفسى ، وامتزاجها بدمى . والذين يستطيعون أن يقرروا دون حرج أو مغالاة أن اللحظات التى انبسطت فيها نفسى ، وانشرح لها صدرى ، وافتر

لها ثغرى ، عن ضحكات استحت دائماً فكانت بسمات ، قليلات معدودات . والذين علموا منى وعنى أن المرات التى تخليت فيها عن همومى وأحزانى تعد على أصابع اليد الواحدة مرة واحدة . والذين حاولوا بجهد الأبطال أن يسروا نفساً كئيبة دائماً ، حزينة دائماً . ويبهجوا قلباً منقبضاً دائماً ، باكياً دائماً كل أولئك كانوا ولا شك ينكروننى لو أنهم رأونى آخر ليلة فى القصاصين . كنت أغنى وأضحك . وألعب وأمرح ، وما عرفت السعادة الحقة إلا ليلتئذ . وهذه النفوس التى قد صيغت من الحب فصارت حلوة جميلة . وهذه القلوب التى قد صنعت من الإخلاص فأضحت طاهرة نبيلة . ما كان أجملها وهى تهتف وتشكر ، وتبتهج وتسر . لقد أبى الجمع الحاشد أن ينام . وكيف ينام ، وفى الصباح يعود الفاروق إلى عاصمة ملكه سعيداً ، صحيحاً . ما ألذ الوقوف والجلوس فى الصحراء على الرمال . وما أحلى ذلك النسيم البارد العليل الذى كان يهب من الشمال تارة ومن الجنوب أخرى ، فيملأ النفوس الفرحة بعبيره ، ومسيره . وما أعظم ما كان يدور بنفوسنا وخواطرنا حين ذاك . وما أشد شوقنا إلى مطلع ذلك الفجر السعيد ، لذلك العيد . لكن ما أكثر دعاء آل القصاصين بأن يطول الليل ، وبألا يطلع النهار . إنهم يريدون أن يكون الفاروق لهم وحدهم ، وكانوا فى إرادتهم من الخاطئين . فهذه الملايين من الأنفس السعيدة بحب الفاروق الهائمة بود الفاروق والتى هى أكثر الناس حباً ووفاء وإخلاصاً وولاء . وما تشرفت برؤيته وما تمتعت بطلعته ، وما سعدت بجيرته . ما رأوه وما رآهم إلا فى حبه وحبهم ، وما حادثوه إلا بلغة قلبه وقلوبهم . ولكنهم قريبون منه وهو منهم قريب . بالروح وبالفؤاد . ما نمنا وربما ما نام الملك .

أى شعور كان يتملك جلالته ليلتئذ ؟ لقد زارته مصر بأسرها فى القصاصين ، فليزرها هو فى غير القصاصين . لقد استفسرت عنه فى كعبته الجديدة ، فليستفسر عنها فى بلادها البعيدة . قد سعت إليه فليسع إليها ، وهرعت إليه فليهرع إليها .

وجاء الصباح بنور العزيز الفتاح . وأشرقت الشمس على القصاصين قبل أن تشرق على الدنيا بأسرها بوقت وحين . وارتدى المليك الكريم حلته وصافح أطباءه وممرضاته . واحداً واحداً واحدة ، شكرهم وأثنى عليهم . وهم أحق بتقديم الشكر ، والثناء . وأذن مؤذن العودة فانطلقت الحناجر مدوية صاخبة ، مودعة داعية ، حامدة شاكرة . بالإنجليزية وبالعربية ، وبغير اللغات الحية . بلغة القلب الوجدان . وسار الركب الميمون فى رعاية الله حتى محطة القصاصين . ونادى المنادى فى سماء القصاصين أن — افرحى يامصر ، وابتهج يانيل . ففاروقك قد عاد سليما إليك . وزغرد القطار مؤذناً بالرحيل . فإذا أدمع تنهمر ، وإذا مآق تمتلىء ، وإذا قلوب تبكى ، وكل ذلك فى لغة الدنيا هو الوداع . وما أمر الوداع ، بل ما أمر وداع أهل القصاصين . ذبائح تنحر فلا تجد من يأخذها . لأن الفقراء المحتاجين . آثروا رؤية الملك وتوديع الملك على البحث عن أقواتهم وأقوات عيالهم . والمرضى ذوى الجروح الخطرة قد آثروا أن يداووها برؤية الفاروق وتوديع الفاروق . وابتدأت القافلة الملكية تسير ، وترامى الناس أمام القطار يحاولون سبقه أو منعه . لا يريدون أن يتركوا الفاروق . . . لست أستطيع أن أصف الطريق من القصاصين إلى القاهرة لأنى لا أريد أن أرتكب جريمة كبرى إن حاولت الوصف . طريق بشرى لا أكثر ولا

أقل . يسمع المليك دعاءه ، ويرى الفاروق ولاءه . مكنوناً فى الهتاف ، مبثوثاً فى الدعاء ، كل حركاته ونظراته تنطق بالحب . وكل أنفاسه وخلجاته تمتزج بالحب . أيد تهتز ، وأعناق تمتد ، وقلوب تصفق ، وأفئدة تزغرد .

وهنا القاهرة . . . كل ما فى القاهرة يحيى الملك ويبارك شفاءه ، وكل من فى القاهرة وغير القاهرة على شوق أحر من الجمر للقاء الملك ، وتحية الملك . . . تحياتها هتاف ودعاء . وأناشيدها شكر وثناء ، يمتزج فى كل منها مجد مصر ، والاعتزاز بماضيها ، والثقة بحاضرها ، والرجاء فى مستقبلها . وتستيقظ القاهرة على أروع الأناشيد وأمتعها ، وأجملها وأبدعها ، عاش الفاروق . بارك الله فى الفاروق ، إنى لأوشك أن أضع القلم جانباً كى لا أحرج نفسى بوصف هذه المظاهر . . .

القاهرة . . . ما أشد ماتغيرت القاهرة . شعور فياض مارأته القاهرة من عهد جوهر ، بل مارأته مدينة فى الدنيا بأسرها . قبل جوهر أو بعد جوهر . أمة تجمعت فى مدينة ، وشعب وجد فى عاصمة ، ومصر احتوتها قاهرة أرأيت الموج المتدفق المتلاطم الذى تدفعه الرياح الهوج نحو الشاطىء . أرأيت السحب الممطرة وقد غدت تنهمر بلا انقطاع ، وتنصب بلا توقف . ثم أرأيت القلوب الطاهرة النبيلة وقد تخلصت من كل قيد وانطلقت وسجيتها وفطرتها . والنفوس الفرحة المستبشرة التى تقفز هنا وتلعب هناك . وتجرى من هذا الميدان لكى تحتل هذا الميدان . كل ذلك شبيه بما جرى فى العاصمة يوم عودة فاروق إلى العاصمة ، لقد كانت القاهرة كالأمواج فى كثرة ورودها . والسحب فى تعدد وفودها .

فوق الأشجار وتحت الأشجار . . . فوق السطوح وتحت السطوح .

فى الشرفات والفرندات : فى المقاهى والملاهى . الأشجار لكثرة ما تحمل وكثرة ماتظل توشك أن تسقط . والمنازل لكثرة ماحوت واحتوت تكاد تنقض . لم يعبأ الناس بقانون الملكية فاعتلوا السطوح . ودخلوا المنازل . ولم يهتم الشعب بالتقاليد فوقف الباشا على إفريز الشارع . واحتل الفقير شرفة الكونتننتال . التى وضعت بالأمس جاءت لترى الملك . والذى يحتفل اليوم بعيد ميلاده العشرين فوق المائة ، جاء ليبارك الملك . والذى أنهكه الجوع أياماً وليالى جاء ليتغذى برؤية الملك ، والذى مازال جرحه يدمى من جراء العملية جاء لتشفيه طلعة الملك . والذين جاؤا إلى العاصمة من ضواحيها وشتى نواحيها ، أبوا إلا أن يقضوا وقفة العيد فى شوارع القاهرة للقيا الملك ، والطلبة الذين كانوا فى انتظار الإجازة ليقضونها بين أهليهم وذويهم . قد تأخروا فرحين مسرورين لرؤية الملك ، والعمال الذين يشتغلون باليومية وكانوا أحق الناس بهذا اليوم لقرب العيد ، قد نسوا أعمالهم ليشتركوا فى استقبال الملك . الشعب كله قد جاء فرحاً مرحاً ، يرقص ويغنى ، ويهتف ويدعو ، ويخيل كل مكان فى الشوارع البهيجة . عندما رأى الشعب الملك واقفاً فى سيارته يحييه كعادته . خفق قلبه بالحب وفاضت نفسه بالولاء ، وانطلقت ألسنته وقلوبه تجأر بالدعاء . القلوب التى ما فرحت فرحت ، والنفوس التى ما ابتهجت ابتهجت ، والشفاه التى ماابتسمت ابتسمت . وأبت السماء إلا أن تشترك مع الأرض فى الابتهاج بيوم العيد السعيد ، فطار رجال سلاح الطيران المصرى الملكى لكى يحتفلوا بعودة مارشالهم العظيم . . . فأظلوا ركابه من الشمس . وامتزجت دقات القلوب بأزيز الطيارات ، واختلطت الباراشوتات بالهتافات الصاعدات .

وشاهد تشرشل وإيدن وبعض أعضاء مؤتمر طهران هذا الحب وهذا الإيمان ، فعلموا حقاً أن محبة الفاروق لشعبه لاتعادلها إلا محبة الشعب لفاروقه . وعرف تشرشل صوت الشعب وفهمه لأن صوت الشعب كما قال معروف فى كل لغة ، وصرح بأن مثل هذه المواكب لم تحدث إلا فى يوبيل الملك جورج الخامس .

وفى الطريق من القبة إلى عابدين كان الشعب فى سكرة الطرب التى لاتعرف نهايتها وإن كانت تعرف لذتها . وفى فورة الحماسة التى لايفهم درجتها ولكن يفهم قوتها . وفى ثورة العواطف الجنونية التى لايدرى مبلغ ثورتها وإن كان يدرى مقدار عظمتها .

وفى سراى عابدين العامرة اختلط الحابل بالنابل . والوزير بالخفير . والغنى بالفقير . والأجير بالأمير . فكانت ديمقراطية ما أجملها وما أنبلها . وما أعظمها وما أفضلها . وظل القصر فى هذا اليوم ومابعده من الأيام مسرحاً للعواطف ، وكعبة للقصاد . أقوام تذهب وأقوام تجىء ، أمم تغدو وأمم تروح . أقطاب الأمة ووزراؤها وزعماؤها ، يفرحون ويمرحون ، لاخلافات ولا حزازات .

هنا فى ساحة الفاروق . القلوب تهدأ ، والنفوس تصفوا ، والضمائر تزكوا والأفئدة تسموا . وحدة وإخاء . تفان وفداء ، تضحية وولاء ، هتاف ودعاء . « الله راعيك ، والقرآن حاميك ، والشعب يهنيك ، والكل يفديك . . . يافاروق » .

وأخيراً . . . العودة إلى القصاصين

ويأبى كرم المليك إلا أن يكرم القصاصين سليما معافى كما كرمها جريحاً مريضاً فعاد إليها وعادت الأمة معه . وتفضل المليك كعادته دائماً فى التفضل بوضع الحجر الأساسى للمجموعة الصحية بيده الكريمة . التى ساهم فى إنشائها مجلس مديرية الشرقية ووزارة الصحة العمومية والجمعية الزراعية الملكية وأفراد شعبه المخلص الوفى تذكاراً لسلامة جلالته فى حادث يوم الاثنين ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٦٢ هجرية — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ ميلادية . وتفضل كذلك جلالته مرة أخرى فوضع الحجر الأساسى لمسجد فاروق الأول . شكراً لله على شفاء جلالته وأثراً باقياً لإقامة جلالته زمناً فى تلك البلدة . وكان جلالة الملك قد تفضل فى ١٩٤٣/١٢/١١ بالإنعام السامى على أطبائه وممرضيه وممرضاته فى القصاصين وقد تفضل بمناسبة العودة فأنعم على مدير الشرقية وعلى عمدتى القصاصين بما هم أهل له .

وبعد عام . . .

ويمر عام على يوم القصاصين فاذا البلاد جميعها من أقصاها إلى أقصاها تحتفل بهذا اليوم فيجود الخيرون بأموالهم على الفقراء والمرضى وإذا بالحكومة الماهرية تحتفل هى الأخرى احتفالين كبيرين لهما مغزاهما ومعناهما فتهب يوم المستشفيات وبعض المؤسسات الكبرى هبات مالية كبيرة . وتقيم فى الأوبرا احتفالا لائقاً بهذا اليوم الذى نجى الله طا فيه فاروقها .

وإذا بهذا اليوم تتحقق أحقيته فى الخلود وتثبت مكانته فى التاريخ فيصير عيداً شعبياً قومياً هو غرة الأعياد .

صوت المرأة المصرية

المرأة عامة والمصرية خاصة رقيقة الإحساس . سريعة التأثر . ملتهبة العواطف . متوقدة الشعور . لا تعرف كيف تخفى الحب إذا أحبت . ولا تعرف كيف تضبط عواطفها إذا تألمت . هى كتلة من العواطف الثائرة الجياشة . التى لا تعرف فى حبها قيوداً أو سدوداً . وهل لدى المرأة المصرية من القدرة ما تتحكم به فى عواطفها . إذا جرح الفاروق . كلا . لقد تملكها من الجزع والفزع والهلع ما لا مثيل له . لأن حب المرأة المصرية للفاروق لا يعدله من حب فى الدنيا سوى حب الفاروق لها . آثرها وفضلها . واختار شريكة حياته من فتيات شعبه المتيم بحبه . شجعها وعضدها وأخذ بيدها وافتخر بها فى كل مجال . واهتم بقضيتها كل الاهتمام . وعاونها فى جهادها العلمى والأدبى والصحى والاقتصادى معاونة جعلها تنجح فى جهادها ، بل تصل إلى ذروة النجاح فيه .

ولو أننى حاولت أن أذكر ضروب التشجيع والتعضيد التى لاقتها المرأة المصرية من لدن جلالته لاحتجت إلى كتاب أو كتب فى حجم هذا الكتاب.

وحسبي أن أشير هنا إلى أيام فاروقيات خالدات كانت المرأة المصرية سعيدة بها كل السعادة مبتهجة كل الابتهاج كتلك الأيام التى قضاها جلالته فى الصعيد بين المرضى والممرضات .

وفيما يلى مقالين اخترتهما لأستاذتين فاضلتين من عشرات المقالات التى وصلتنى ، والتى حال ضيق نطاق الكتاب عن نشرها . ولا شك أنهما خير من يعبران عن أثر حادث القصاصين عند المرأة المصرية ،

الفاروق الرجـــل

لصاحبة القديرة الاستاذة منيرة عبد الرحمن

لا أظن أن ملكاً من الملوك — بالغاً ما بلغ من الديمقراطية والعطف على الشعب ، والحدب على الفقراء والمعوزين — قد سكن فى قلوب رعيته ، وملك مشاعرهم وتفكيرهم بالقدر الذى بلغه «فاروق» من محبة شعبه وتقديره .

ولم يقف حب شعبه له عند حد الطاعة فحسب ، بل تعداه إلى حد الافتتان والجنون ، وقد قذف الله تعالى حبه فى كل قلب ، وذكره على كل لسان . فلا ترى شيخاً إلا يهتف باسمه ، ولا كهلا إلا يدعو له ، ولا شاباً إلا يسعى لاجتلاء طلعته ، حتى الأطفال الذين لا يكادون ينطقون ينطقهم الله تعالى بقول : « يعيش الملك الصالح » .

وهكذا أراد الله تعالى للفاروق أن يحبه أهل الأرض ، وهذا دليله على حب أهل السماء ، فسبحان من خص من شاء بما شاء .

إن عدة عوامل تعتمل فى صدورنا من ناحيته ، فترانا نجله كأب ، ونحبه كأخ ، ونحنو عليه كابن ، فانظر رعاك الله إذا ما فوجئت بنبأ إصابة إنسان قد تركزت فيه سائر عواطفك ، من حب وإجلال وحنو ، فكيف يكون حالك ؟ لقد اضطربت الأفئدة ، وخفقت القلوب ، وأظلمت الدنيا على نورها ، وضاقت على سعتها ، وأصبح للشعب المصرى عن بكرة أبيه فى رعب وهرج كالرعب والهرج اللذان وصف بهما يوم القيامة .

لقد كان سائر أفراد الشعب يضحون بأوقاتهم وصحتهم ، بل وبحياتهم فى سبيل الاطمئنان على مليكهم ومالكهم ، وقد انتقل الشعب

عن بكرة أبيه ذرافات ووحداناً إلى القصاصين ليسمع صوت المليك ، ويسمع المليك صوته . وقد عانت الأمة فى سبيل ذلك ما عانت ، ولاقت مالاقت ، وهى فى كل ذلك راضية مرضية ، ترى العذاب عذباً ، والتعب فى سبيل من يسهر لننام ، ويكد لننعم ، ويتعب لنستريح .

لقد منعتنى ظروف صحية من أن أذهب لأقوم بفرض السؤال عن صحته الغالية عن كثب ، حتى فكر معالى مكرم باشا فى الذهاب إلى القصاصين على رأس وفد كبير من المحامين . وقد شرفنى معاليه بأن دعانى إلى صحبته ، فلبيت مغتبطة مسرورة . ولكن (ما كل مايتمنى المرء يدركه) ففى اليوم المحدد للسفر ، بل فى الساعة الموقوتة لقيامنا ، رزقت بمولود فأسميته فاروقاً ، تيمناً بالفاروق العظيم الكريم .

فما حانت الساعة الثامنة من صباح يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٣ ، حتى دق جرس التليفون ، وإذا بمعالى مكرم باشا يستحثنى للنزول ، فأخبرته بما كان . فهنأنى وذهب إلى القصاصين مع وفد المحامين يستبقون الفضل ، ويسعون إلى نيل أكبر شرف يطمح إليه إنسان ويسعد به .

وقد أبى فضل الفاروق ومحبته لشعبه ، ورأفته بأمته ، إلا أن يعود سريعاً قبل إبلاله من اعتلاله ، ليشفى قلوباً أمرضها طول الانتظار ، ويطفىء لهيباً أشعله قلة الاصطبار .

وكم أشاع المرجفون — قاتلهم الله تعالى — حول آلامه ، والقلوب فى هلع ، وزادوا فى وصف إصابته ، والنفوس فى جزع . فلما علم بذلك — حفظه الله — أبى إلا أن يراه أحباؤه وأصفياؤه قائماً على الأقدام ، غير مبال بما يناله من تعب وإيلام . فتمتع بحب شعبه ، وتمتع شعبه بحبه .

عاش الفاروق فى حمى مصر ، وعاشت مصر فى حماه . !

الفاروق الحبيب

للأديبة الفاضلة الآنسة جولييت حافظ محمد

... وهكذا أبى القدر أن يترك قلباً مثل قلبي بلا حب يشغله .. أو عشق يذهله ... فأحببت الفاروق .. بل عشقته .. بل تيمت به وكان ذلك منذ أن كنت فى رياض الأطفال ... كنت أجد اللذة فى الاحتفاظ بصوره ، وفى الاستماع لأحاديث ديمقراطيته التى كان يتغنى بها الناس معجبين بها ... أما يوم القصاصين .. فما أمر — على نفسى — ذكره أو تذكره ... وإن أنس لاأنسى يوم دخل والدى حجرة نومى وعلى وجهه سيماء القلق والفزع .. وقال دون أن يخصنى بتحية الصباح التى عودنى إياها .. لقد صدمت سيارة الملك ، لا أقول كان للخبر وقع الصاعقة ... فالإنسان إذا ماصعق مات وفقد كل شعور ، ولكنى كنت فى تمام شعورى .. وطفقت أبحث فى الأهرام والدموع تتساقط من عينى بغزارة شديدة وتخرج من فمى حشرجة لايفهم من يسمعها إن كانت كلام إنسان أو صوت طائر يريد أن يتخلص من سجنه ليطير إلى حيث يريد ... أقرأ كل سطر من الخبر مثنى وثلاث ورباع ... وبالرغم من أننى كنت قد صليت فجر هذا اليوم .. توضأت وصليت ودعوت وتوسلت إلى الله بحرارة وإيمان دونها من ترى أسرتها جميعاً من الجدة والجد إلى أصغر شقيقة وشقيق . تحتضر فى لحظة واحدة ... كى يحفظ الفاروق برعايته .

وفى التو كنت أقود بنفسى سيارتى إلى القصاصين .

وهدانى الله إلى القصاصين . . ورأيت نور ضيفها العزيز . . . فعرفه قلبي الذى لايخطىء نور الفاروق ولا مكان الفاروق . . . عرفه قلبي قبل أن تعرفه عيناى . . . لقد كان الزحام شديداً جداً . . . فزاد ذلك من حقدى على المتزاحمين لأنهم سبقونى . . . فحبي للفاروق الحبيب لايضارعه حب فى العالم كله . . . بل إنه لو تجمع حب الأمومة والأبوة والبنوة وكل حب فى قلوب أهل الأرض طراً لما تجاسرت كتلته أن تقف أمام حبى وإخلاصى . . . ذلك هو يقينى واعتقادى . . .

وقفت مع الجمع الحاشد أتسمع ولا أسأل ، لأنى كنت أود أن أكون مسئولة لاسائلة . . كنت أود أن يكون الجرح فى قلبي وحشاى . . . كنت أود أن أفتديه بروحى . . . كنت أخشى أن يسألنى أحد الصحفيين عن شعورى وعن سرعة حضورى فلا يسعفنى عقلى أو تفكيرى . . . وعدت بعد أن اطمأننت وزرت المكان الذى وقع فيه الحادث وكدت ألثم الأرض ، بل لو كان فى الإمكان احتضانها لاحتضنتها بكل قواى . . واكتفيت بحفنة من ترابها الذى لمسه جلالته . . . وتذكرت حب إخواننا المسيحيين للصليب . . . وقد صلب عليه المسيح . . .

. . . رجعت إلى المنصورة التى لم يشرفها مولاى بزيارته ، ولم أنم تلك الليلة . . . صرت أتخيل الفاروق الحبيب نائماً فى سريره الصغير يتألم ولا يشكو . . . الملك المحبوب فى حجرة العمليات لايفكر إلا فى شعبه . . وجمعت صور جلالته ونسقتها وركعت أمام واحدة منها ، أسائلها وأناجيها وأحدق فيها بجنون . . .

وقلت فى نفسى أخيراً أن من يؤمن بأن المصحف هو الذى باركه وحماه

لن يمسه ضير أو شر . . . وقمت إلى مصحفي الكبير وهو أعز ما أملك ، وجلدته وطرزته وكتبت عبارة الإهداء التي تمنيت أن تكون بدمى على عظمى . . . وفى الأيام العشرين كنت صورة مجسمة للألم والحزن . . . وكنت أنا التي أربأ بنفسي عن أن أحسد أى مخلوق ، أو أغار من أى عظيم ، أحسد هؤلاء الذين يتألمون ولا يبكون . . . ويحزنون ولا يشكون . وأغار من كل ذاهب إلى القصاصين ، ومن كل عائد من القصاصين ، بل وكل مقيم فى القصاصين . . . لطالما تمنيت أن أكون طبيبة أو ممرضة ، أو مريضة حتى ولو بأشد الأمراض فتكا . . .

ولما أراد الله للفاروق أن يعود إلى عاصمة ملكه السعيد . . أطلقت العنان لتمائي كى يفرح ، ولروحى كى تمرح ، ولفؤادى أن يطير إلى حيث الفاروق يسير . . ورأيته واقفاً وسط عربته يحي بكلتا يديه أمته ، فهتفت ودعوت ، وحمدت وشكرت ، وعدت إلى بيتي جزلة طروبة لأن أملى قد تحقق ورجائي قد أجيب ، ومجموعة الصور قد اكتملت . . .

والشخص الذى أحبه كثيراً هو رفعة أحمد حسنين باشا الذى أجله وأغار منه لأنه دائماً قريب من الملك حبيب إلى الملك ، ليتنى كنت جزءاً منه .

وأحب شيء إلى نفسي هو أن أرى الملك فى كل وقت حتى إننى أتمنى أن أشترى ما يحيط بسراى عابدين من منازل لكى أحظى دواماً برؤية الفاروق مثنى وثلاث ورباع فى كل يوم بل فى كل ساعة لو أمكن . . . إنى سأضطر إلى وضع القلم حتى لا آخذ حيزاً كبيراً من الكتاب . . لأننى لو تركت نفسى على سجيتها وقلمى على طبيعته لما كفتنى أوراق العالم ومداده لشدة إخلاصى لمولاى . . عاش الفاروق لمصر وعاشت مصر للفاروق .

صوت الصحافة المصرية (٥)

للسيدة فاطمة اليوسف صاحبة مجلة روزاليوسف

فى مساء ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٤ كنت بدار حزب الأحرار الدستوريين وفجأة احسست باضطراب نفسانى واهتزاز شعورى . علمت بعدهما أن الفاروق - أبقاه الله ذخراً للوطن - قد أصيب فى حادثة بالقرب من القصاصين . . . لم أتمالك حواسى . . . ولم أستطع أن آتى أية حركة سوى أننى أمسكت التليفون وطلبت كبار رجال القصر كى يطمئن قلبى . . . فلما قيل لى إن الحادث قد تداركته رعاية الله ثبت إلى رشدى . . . وعاد إلى صوابى . . . وعدت أفكر من جديد بعد ماسلبت القدرة على التفكير . . . فى الحادث ولا شيء سوى الحادث . . . ومكثت طوال المدة التى قضاها جلالته بالقصاصين أتبع بخوف ووجل نتيجة الحادث . . . وأتتبع بشوق واغتباط ولاء الشعب لمليكه ، وتعلقه بفاروقه . . . وابتدأت من جديد أفكر فى رأى لى تخذته عقيدة . . . ذلك أننى فكرت منذ زمن طويل فى أن أكتب إلى الملك خطاباً أطالبه فيه بألا يقود بنفسه سيارة أو طيارة . . ذلك لأن لى نصيباً فى الملك وأنا أطالبه بمالى من حق فيه . . .

وأنسانى يوم عودة الفاروق كل آلامى وأحزانى ، فما كدت أراه واقفاً وسط عربته . . يحى بيديه أمته . . عاد إلى شبابى فانطلقت أصفق وأهتف وأدعو تصفيقاً وهتافاً ودعاء كان معجزة من معجزات الحب الفاروقى . . .

---

(٥) تفضل أساتذتنا وأصدقاؤنا الصحفيون ، فكتبوا إلينا عن أثر حادث القصاصين فى نفوسهم كل على طريقته فشكراً لهم .

كلمة

الأستاذ محمد خالد صاحب ورئيس تحرير جريدة الدستور

ما ترك الكاتبون عن يوم القصاصين شيئاً يقال ، ولا غادر الشعراء فيه من متردم. ومبلغ الأمر فيه أن العناية الإلهية التى اختص الله بها كنانته قد تجلت بأبلغ مظاهرها فى حادث القصاصين ففى الساعة التى رجت فيها البلاد بنبأ هذا الحادث ما لبثت أن ترنحت سروراً بجميل عناية الله وكريم لطفه إذ سبقت البشرى بالنجاة الروعة من الحادث ، وهكذا رأت الأمة المصرية رأى العين تأويلا جميلا ومظهراً صادقاً للمثل السائر « قدر ولطف ».

ولقد جاء هذا الحادث فى زمن محنة للأمة وامتحان لشعورها ، تراكمت فيه الظلمات بعضها فوق بعض ، وتلاقت الكوارث زمراً فى إثر زمر ، وامتد الليل حتى كاد يوئس من طلوع الفجر ، واشتد العسر حتى أوشك أن يقضى على توقع اليسر ، وتلفتت البلاد يمنة ويسرى وتحركت الألسن بالدعاء تضرعاً وخفية فلم يكن هناك موئل الرجاء ولا معاذ الأمل غير حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول حفظه الله .

فى هذا الوقت العصيب وتحت هذا الضغط الشديد ، وبين هذه المحن الفاشية والفتن القاسية سار نبأ حادث القصاصين فى البلاد .

ولكن كان من لطف الله بمصر أن اقترن بالسلامة ، وعرف مصحوباً بالنجاة فازدوج الأسف بالشكر ، وامتزجت الروعة بالحمد . ولله الحمد أولا وآخراً .

ترجمة نفسانية

للأستاذ حافظ محمود رئيس تحرير جريدة السياسة

كان يوم القصاصين هو يوم الخلد للشعور المصرى الفياض بمعانى الحب، كلها نحو مليك وادى النيل « فاروق الأول » .

فقد قيل قديماً : « رب خسارة نافعة » ولقد كان الضرر البدنى الذى أصاب صاحب الجلالة الملك المصرى فى يوم القصاصين سبباً فى ربح كبير لنفسية هذا الشعب ، الذى ظهر إخلاصه للفاروق إخلاصاً ليس فوقه إخلاص ، وليس دونه من حائل بين الملك وشعبه .

كان لابد لفيضان هذا الشعور من حادث ، وكأن مولانا الملك أعزه الله قد أبت وطنيته إلا أن يقى بنفسه مصر شر الحادثات ، فتعرض هو لهذا الحادث الذى فتح السدود لتدفق الفيضان النفسى من شعب إلى ملك، ومن ملك إلى شعب . وعلم الله جلت قدرته أن هذا الحادث ليس إلا امتحاناً للحب المتبادل بين أمة ومليكها ، فوقاه شر هذا الحادث وبرأه من آثاره ونتائجه . وعاد المليك بعد بضعة أسابيع إلى مقر ملكه أكثر قوة وأكبر فتوة وأكثر حباً عن ذى قبل .

هذه هى الترجمة النفسانية الحقة ليوم القصاصين ، وإنى لأدخل فى حساب ذاك اليوم جميع الأيام التى مضت وصاحب الجلالة الملك بمستشفى القصاصين . ذلك لأن هذه الفترة كلها كانت فترة من فترات التاريخ المصرى ذات أطراف وحدود واحدة ولون واحد ونغمة واحدة ، كأنها اليوم الواحد .

أجل لقد مشى هذا اليوم بطوله على الأمة المصرية بجزعها على الملك الحبيب . لكنها ما كادت تهرع إليه فى بقعة القصاصين كما يهرع الجميع إلى البقاع الطاهرة حتى اطمأنت إلى أن للفاروق ولوطن الفاروق رباً ينقذ لمصر من أنقذ تاريخها الحديث .

أقول إن الأمة المصرية هى التى كانت تهرع إلى القصاصين حيث لم تبق فى مصر جماعة ولا طائفة ولا شخصية عظيمة لم تشخص إلى هناك ، إن لم تمثل فى جماعة الذين كانوا يعودون مليكهم كل صباح وكل مساء .

لقد ازدحمت الطرقات إلى القصاصين من الشمال ومن الجنوب ولم يبق فى الطريق موضع لإصبع لا لقدم ، ومع هذا كله فقد كان ضمير الأمة يرى أن هذا كله قليل لما يستحقه الملك المحبوب .

هذه هى الصورة السرمدية ليوم القصاصين وإنه ليوم فى التاريخ عظيم .

من ذكريات يوم القصاصين

للأستاذ محمد علي ناصف

يوم القصاصين يومان : يوم مغبر الوجه ، هو يوم وقوع الحادث ، ويوم مشرق ميمون الطالع ، هو يوم عودة الفاروق لعاصمة ملكه السعيد ، وتربطني باليوم الأخير ذكريات قد يقف القارىء منها على شيء جديد .

في ضحى ذلك اليوم وكان الأستاذ رئيس التحرير غائباً عن القاهرة ، اتصل بي — وأنا في مكتبي بجريدة الدستور — موظف مسئول بقسم النشر في وزارة الداخلية وقال إن لديه خبراً مهماً هو أن حضرة صاحب الجلالة الملك أجل عودته عدة أيام — أظنها عشرة — بناء على مشورة الأطباء . وكان وقع الخبر ثقيلا لم أحتمله ، ولكن بعض الظروف التي كان يعرفها ويقف على تفاصيلها بعض الذين وجدوا في محيط السياسة وأجوائها جعلتني أرجح كفة الشك فاتصلت بالقصر وطلبت الكلام مع أي رجل مسئول يوجد به لأمر خطير ، وبعد لحظة كنت أتحدث مع سكرتير خاص حضرة صاحب الجلالة الملك ، وأسرد له تفاصيل الموضوع فقال لي إن الخبر كاذب من أساسه ، فرجوته أن يتصل القصر بجميع الصحف وبمحطة الإذاعة وبجميع الأوساط الممكنة ليقتل هذه الإشاعة .

وقتلت الإشاعة في مهدها ، وألقم الكاذبون غصة زادت من مرارتها روعة الإستقبال الذي وصفه بعض الصحفيين الإنجليز بأنه فاق كل احتفال أو مظاهرة شهدوها في حياتهم ، حتى حفلات التتويج البريطاني .

كلمة الأستاذ إحسان عبد القدوس

حدث أن كان ولى عهد انجلترا «دوق وندسور» يقفز بجواده من فوق حاجز فوقع وأصيب بكسر خطير .

واجتمع مجلس العموم البريطانى بعد الحادث وقرر حرمان ولى العهد من القفز بجواده من فوق الحواجز ، وكانت حيثيات القرار هى : « إن حياة ولى العهد الإمبراطورى ملكاً للشعب وليست ملكاً له » .

وحدث أكثر من مرة أن قررت الحكومات ومجالس الشعب حرمان ملوكها وأولياء العهد من المخاطرة بحياتهم كقيادة الطائرات مثلا أو زيارة الخطوط الامامية فى ميادين القتال .

وكل هذه السوابق التاريخية تجمعت أمام ناظرى عند ماسمعت بحادث القصاصين .

كانت حياة الملك فى خطر . . وحياة الملك هى حياة الشعب . .

كان الشعب كله فى خطر . . وحياة الشعب هى حياة الملك .

وتجمع سبعة عشر مليوناً فى بقعة صغيرة من الصحراء يسألون فى نفس واحد : كيف حال الملك .

وكان الملك فى الداخل يبتسم . . . يبتسم لأن الله لطف بشعبه عند ما لطف به ، وأنقذ مصر عندما أنقذه .

إنه كان يعلم أن حياته ملكاً للشعب وليست ملكاً له ، وقد أوقف أيامه كلها وساعاته ودقائقه لخدمة هذا الشعب والرقى به .

وكان يحب أن يعود إلى شعبه ليكمل رسالته . . . فعاد إليه لا بفضل الأطباء ولكن بفضل الشعب الذى تجمعت إرادته لتهب الملك إرادة التغلب على الحادث . . وبفضل الملك نفسه الذى أحب شعبه فمنح شعبه الحياة . . وبفضل الله الذى أحب الشعب والملك فرد لهما حياتهما . .

٭ ٭ ٭

كانت أيام القصاصين . . استفتاء للشعب .

وقد اعتادت الشعوب أن تتحفظ أمام ملوكها . وأن تراهم دائما خلف الحرس وخلف أسوار القصور وأن تهتف للزينات والأبهة التى يحيطون أنفسهم بها قبل أن تهتف لهم .

وكان الملك فى الصحراء وليس حوله حرس ولا زينات ولا قصور .

واعتادت اشعوب أن لا تذهب لمقابلة الملوك إلا فى رداء رسمى أو وهم مرتدين الردنجوت والبنجور وحلة التشريفة الكبرى .

وقد ذهب الشعب لمقابلة ملكه فى القصاصين بلا رسميات وبلا ردنجوت ولا « بونجور » . .

وذهب الفلاح بجلبابه الأزرق وأقدامه الحافية . .

وذهب العامل بحلته التى زانها عرق جبينه ورصعتها بقع الزيت . .

وذهب الطالب وتحت إبطه كتبه المدرسية . .

وكانت هذه هى الأزياء الرسمية الذى يعترف بها الملك فاروق . والجلباب الأزرق هو حلة التشريفة الكبرى التى تسمح لك بالدخول فى قصر الملك .

إذن فلم يكن ملكنا ملكا تحوطه الرسميات . بل كان أكثر من ملك . . كان زعيما شعبيا اعترف الشعب بزعامته . .

اثنان وعشرون يوماً مجيداً ...

بالأستاذ محمد حسنين هيكل

كنت فى المنزل ... وكنت أتأهب للخروج وفجأة دق التليفون وكان المتكلم زميل صحفى أجنبى يعمل فى زميلة مسائية أجنبية كذلك . قال لى :

أعلمت الخبر ؟ قلت :

— أى خبر

— لقد أبلغنا الآن أن الملك قد أصيب فى حادثة بالصحراء ...

ولقد قال لى الزميل فيما بعد أنه لم يستطع أن يفهم منى شيئاً بعد ذلك لأننى اندفعت فى حديث عجيب ثم أقفلت السكة وبعد دقائق كنت فى إدارة الجريدة .. !!

ولقد اتيح لى بعد ذلك أن أتملك أعصابى فذهبت إلى عابدين وهناك علمت أن الملك فى سلام وأن الله حفظه لمصر وللشعب ...

وعدت إلى إدارة الجريدة وسهرنا طول الليل ننتظر .. وكانت عقولنا وقلوبنا كما كانت عقول جميع المصريين وقلوبهم فى هذه الليلة متجهة إلى هناك ... إلى القصاصين ..

ولم نستطع أن نتنفس الصعداء إلا عندما أبلغنا تقرير الأطباء الأول .

وفى الصباح وجدت نفسى بدون أن أشعر أسعى إلى عابدين ولم أكن وحدى الذى أحس بذلك .. فهناك كانت الأمة كلها ... وفى هذا الاتجاه كان هناك سيل يتدفق . سيل من الحب الملهم والعاطفة المشبوبة ...

وعرف أن الملك لا يزال فى القصاصين . . . فتحول السيل الجارف إلى هناك . . . وفجأة أصبحت هذه القطعة البعيدة من الصحراء قبلة لسبعة عشر مليوناً من المصريين ومائة مليون من أبناء الأقطار الشقيقة ، وهكذا أصبحت القصاصين جزءاً من التاريخ . . التاريخ الذى ظل يسجل أروع عاطفة أحست بها مصر نحو ملك فى كل تاريخها . .

وكان هذا يوم ١٥ نوفمبر . . .

ومرت الايام . . .

وعاد الملك . .

وكان ذلك يوم ٧ ديسمبر .

وكان يوماً . . يوماً خالداً لم تر مصر له مثيلا . . . وشاهدت عودة الملك من الكونتنتال وكنت أعلم أن هناك شخصية كبيرة تشاهد عودة الملك من الكونتنتال أيضاً . . . كنت أعلم يومها السر العظيم . . . أجل فتشرشل نفسه كان فى حجرة ما من حجرات الكونتنتال يراقب مظاهرة الشعب وكنت فى شوق إلى أن أعرف رأيه . . . فانتظرت . . . ولم استطع يومها أن أر المستر تشرشل ولكنى علمت رأيه من أمريكى كبير كان معه وكان أول ما قاله تشرشل العظيم عقب أن مرت سيارة الملك :

— إنى لم أر فى حياتى شيئاً مثل هذا . .

وصدق تشرشل . . . فما رأى أحد من قبل مثل هذا . . . هذا الحب الخالد . . .

يوم المستشفيات .. يوم الخيرات

... وفى أمسية من أمسيات فبراير الماضى كنت سائراً فى شارع شبرا أنا وثلة من أصدقائى ، فإذا بنا نجد جمعاً من الناس قد تكاثر حول رجل ملق على الأرض فخشى أصدقائى أن أذهب هناك لأعرف حقيقة الأمر خوفاً من أن أسقط مغشياً على ، نظراً لما يعلمونه من رقة شعورى ومن حدة عواطفى ، ولكنى ذهبت ، فهالنى أن وجدت شاباً فى العشرين يتألم ويتوجع فعلمت أنه يشكو الجوع وأنه يشكو المرض . فلقد ظل على الطوى يومين متتاليين ، ومكثت بطنه مفتوحة من جراء عملية جراحية شهراً وبعض الشهر ، وأسعفناه بما مكنتنا إياه ظروفنا ، وذهبت إلى أقرب تليفون كى أتحدث مع مستشفى القصر العينى الذى أخرج هذا المريض ، ولما يتم علاجه ... ولكى أتحدث مع بعض الملاجىء التى رفضت إيواء هذا المريض ، وكنت على ثقة من أن الدنيا كلها ستقوم وتقعد لهذا الحادث ، وسوف يكون هذا الموضوع حديث البلد بأجمعها بعد حين ، وما كان أشد دهشتى حينما ابتسم لى أحد أصدقائى الرسميين وقال تلك مأساة تتكرر كل يوم ، وليس لنا قدرة على منع تكرارها ، فلم تقم الدنيا إذن ولم تقعد ، ولم يصبح الموضوع حديث البلد بأسرها ، بل أنا وحدى الذى قمت ، وأنا وحدى الذى قعدت ، وأنا وحدى كنت محور الحديث .

وبعد أيام قلائل طالعنا سليمان باشا عزمى بنداء يسترد به عطف ذوى الأريحية لمد يد المساعدة نحو أولئك الذين تحول المستشفيات بينهم وبين إتمام العلاج ، ويحول الفقر بينهم وبين السعادة الصحية ، وهز المتفائلون

رؤسهم وقالوا : مشروع جميل ، ولكن الرغبة فى الخير رغبة بسيطة ، وكان سليمان باشا عزمى ومن معه على ثقة فى نفع مشروعهم ولكنهم لم يكونوا متصورين أى نجاح سيصادفهم حينما تلقوا من معالى أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى كتاباً قال فيه :

« اطلع مولاى على نداء : « يوم المستشفيات » الذى وجهتموه إلى القادرين من أبناء الوطن ، كى يساهموا فى إعانة المرضى النائمين . ممن لا يكادون يغادرون المستشفيات حتى يواجهوا من حاجتهم وفقرهم ما يردهم إلى الضنى ، ويقصيهم عن الشفاء » .

ولقد جاء هذا النداء الرحيم صدى لما يجيش به قلب مولاى من حدب على هؤلاء الذين حرمهم الفقر وأكرمتهم عناية الله .

وإذا كان حديث المرض والمرضى يلمس رحمة القلوب ، فإن حديثهم قد لمس من قلب مولاى رحمته ونشوته معاً ، فقد علم جلالته من ندائكم أن شباب كلية الطب فى جامعة فؤاد الأول هم الذين سيحملون على أكتافهم عبء هذا المشروع الإنسانى ، فإنهم سيكونون رسل الخير بين الغنى القادر وأخيه الفقير ، ويسر مولاى أن يعد كل ساع فى هذا السبيل « مندوب الملك » .

وقد قرأ جلالة الملك نداءكم فى يوم ذكرى وفاة والده المغفور له الملك فؤاد الأول ذلك العاهل العظيم الذى كان أول من فكر فى الجامعة وأقام بناءها ، ونشر ظلها ، ورفع منارها ، وإنه مما يسر مولاى أن الفكرة التى غرسها والده بإنشاء الجامعة قد جنت البلاد ثمراتها ثقافة وعلماً ، وتجنيها اليوم محبة ورحمة .

وإن جلالة الملك ليرى أن مهمة الجامعة لا تقف عند الدراسة والتحصيل بل تتعدى ذلك إلى المساهمة فى خدمة المجتمع والعمل على إنشاء جيل صالح سليم.

إن جلالة الملك يؤمن بشباب مصر ويعتقد أن هذا الشباب قادر على أن يحقق رسالة جلالته لإسعاد شعبه ، وأول ما تهتم به هذه الرسالة وهو أن يكون لكل مصرى حقه فى العلاج . وحقه فى الدواء . وحقه فى العناية.

وقد أمرنى مولاى أن أرسل إليك مع هذا الكتاب تحويلا بمبلغ ألف جنيه مساهمة فى المشروع وهدية للمرضى .

وانهالت التبرعات بشكل عجيب غريب ليس له مثيل فى دنيا الخير .

وأثبتت مصر وفاءها وولاءها لفاروقها وبرهنت على قوة حيويتها ووطنيتها برهاناً جعل جريدة برافدا الروسية تعد هذا المشروع من أنجح المشاريع العالمية الخيرية .

أرسل أحد الحوذية إلى جريدة الأهرام عشرة قروش وخطاباً ساذجاً جاء فيه : « سمعت فى القهوة الجواب اللى بعته حسنين باشا فى الراديو يوم السبت ومن أجل كلام مولانا الملك ربنا يخليه لنا فأرسل لسعادتكم هذا المبلغ الصغير لكم من رجل فقير ولو كان الأغنياء دفعوا زى الفقراء كان يبقى فيه مليون جنيه » وكتبت الطالبة إحسان مرسى فهمى بمدرسة الاتحاد النسائى : إن أخى أعطانى مبلغ خمسين قرشاً لكى أشترى به حلوى بمناسبة عيد ميلادى ولكنى فضلت أن أتبرع به ليوم المستشفيات ولمساعدة الفقراء لأن مليكنا المحبوب هو الذى افتتح التبرع لهذا اليوم المشهود . . . »

ووضعت إحدى الآنسات كل ما معها من نقود فى صندوق التبرعات ، وكان أحد العمال ذاهباً لكى يحضر لنفسه الغداء ولم يكن معه إلا ما سيشترى

به غداءه فلما قابله المندوب تبرع بما كان معه وظل يومه من غير غداء.

وتوالى النصر بعد ذلك إذ أرسل حسنين باشا إلى سليمان عزمى باشا يقول: « يسرنى أن أبلغ سعادتكم ما تفضل به مولانا الملك حفظه الله إذ أصدر أمره الكريم بوضع مشروع يوم المستشفيات تحت الرعاية الملكية السامية تشجيعاً له وتقديراً لمقاصده النبيلة »

وكان طلبة الطب ـ وهم منفذو المشروع ـ قد أرسلوا إلى جلالة الملك إزاء عطفه الأول خطاباً قالوا فيه:

« إلى مقام مولانا الملك المعظم أعز الله ذات مولانا وحفظه ورعاه، وأيده بروح من عنده وأدام نعمه عليه وعلى ذويه وبعد فقد شاء الله والخير فى مشيئته أن تكون سدتكم العالية مصدر كل عزة وكرامة ورحمة ورفعة لهذا البلد الأمين. فأنتم يامولانا مصدر ذلك النور السماوى، وكل فرد من رعيتكم إنما يحمل بإسمكم الشريف قبساً من النور وما أسمى فضلكم يامولانا حين قبلتم كل من أجرى الله على يديه خيراً لهذا الوطن العزيز مندوباً عنكم فلتسمحوا يامولانا لشباب الجامعة أن يحملوا هذه الشعلة المقدسة أينما حلوا وأينما ارتحلوا . . . فإليكم ياصاحب العرش الذى تهتف به قلوبنا وضمائرنا ومشاعرنا وسرائرنا قبل هتاف ألسنتنا. إليكم يامنار الوطن وفاروق الحق نرفع من شكرنا مايطيقه منطقنا، وندخر منه ماجرى مجرى الدم والعروق ومسرى الروح من الجسد ».

وشاء الله لهذا اليوم أن يصير يوماً تاريخياً معدوداً من أيام مصر الخالدة وسيبقى علماً على الخير وعنواناً للبر، وسوف يظل اسم الفاروق مرفرفاً على هذا اليوم السعيد المجيد إن شاء الله.

الفاروق يقضى عيد ميلاده

بين منكوبى الملاريا

فى أول فبراير الماضى استعدت البلاد من أقصاها إلى أقصاها لعيد ميلاد حبيبها وصديقها ومليكها الفاروق .

واستعدت مختلف الهيئات لشتى الحفلات والاحتفالات ولكن سؤالا واحداً كان هو الذى يتردد على فكر كل إنسان ، فى أى مكان سيقضى الفاروق عيد ميلاده ؟ قال بعضهم : « فى الاسكندرية عروس البحر المتوسط العاصمة الثانيه .. حيث الهدوء والجلال » . وقال آخرون : « كلا بل القاهرة هى التى ستحظى بمليكها يحبوها كما يحبوها دائماً بعطفه ويشملها كما يشملها دائماً برعايته ... »

وغدت القاهرة قبيل العيد فاتنة كل الفتنة ساحرة كل السحر .. ولكن الفاروق قد فكر تفكيراً آخر دل على ما تنطوى عليه نفسه من حبه لشعبه ووفائه لأمته ..

ففى الساعة العاشرة والنصف من صباح ١٠ فبراير كان قطار الديزل الملكى فى محطة الجيزة ... وهناك كان الفاروق .. إلى أين يذهب الفاروق ؟ .. إلى الصعيد ؟ إلى مناطق الملاريا ... لماذا ؟ . ليقدم هدية عيد ميلاده إلى من جردهم الفقر والمرض من الشعور بالسعادة ..

لقد قام القطار مقلا جلالة الملك مودعاً من محطة الجيزة بالهتافات والدعوات الصاعدات تواً إلى خالق الأرض والسموات .

كان برفقة الملك رفعة حسنين باشا وعمر فتحي باشا ومراد محسن باشا والدكتور عباس الكفراوي باشا والصحفيين القديرين مصطفى أمين بك وكريم ثابت بك .

وهؤلاء الذين اختارهم الملك لرفقته هم أقوى الناس احتمالا وأكثرهم صبراً على كافة المشاق .. فلم تكد تمر التسع ساعات التي قطعها القطار حتى إسنا حتى شعروا جميعـــاً بالتعب . ولكن الملك هو دائماً الملك حتى في التعب ...

لقد كان الملك يتحدث دائماً طوال الطريق عن الملاريا والمصابين بالملاريا ... وعن وجوب مساعدتهم مساعدة فعالة سريعة ..

ولقد كانـــ يتطلع إلى وجوه الألوف المؤلفة التي امتدت على طول الطريق من الجيزة إلى إسنا ، والتي كان منظر ولائها ووفائها بالغاً منتهى الروعة والجلال ... كان الملك يتطلع إلى الوفاء والولاء الصادرين من شعبه عن طريق هتافه ودعائه فيبتسم لأنه يبادلهم نفس الشعور ونفس الحب.

هو يثق دائماً في شعبه ويعتقد أن شعبه يثق فيه ... وهو مطمئن دائماً إلى شعبه وشعبه مطمئن دائماً إليه .

لقد قال لجلالته اطباؤه إن صحة جلالته لا تحتمل هذا العناء والتعب ، ولكنه كان يعتبر أن أمثال هذه الأعمال الخالدات ستزيل كل عناء وتعب .

وكيف يحس بعناء وتعب هذا الذي يأبى إلا أن يدرس حالة كل طائفة من شعبه بنفسه ..

وكيف يحس بعناء وتعب هـذا الذي يزيح بيده كابوس الموت عن ألوف مؤلفة من أفراد شعبه ..

وكيف يحس بعناء وتعب هذا الذي يمد يد العون والمساعدة إلى ألوف مؤلفة من أفراد شعبه . . . إن العبء ثقيل على كل ملك ولكنه على فاروقنا أثقل الأعباء . . ذلك لأن له من حساسيته الرقيقة ومن عواطفه النبيلة ما يدفعه دائماً إلا أن يعمل ليل نهار فى سبيل إسعاف كل مريض وإطعام كل جوعان وكساء كل عريان ونصفة كل مظلوم .

ودخل جلالة الملك استراحة الخاصة الملكية بإسنا ، ووجه إلى موظفى التفتيش أسئلة دقيقة دلت على تتبعه لكل صغيرة وكبيرة مما يتعلق بحالة هذا الجزء المريض من شعبه . .

وكان المساء فخرج الفاروق وحده . الفاروق وحده . الفاروق وحده . يتجول فى القرى والكفور . . يسأل كل سائر عما يشكو منه . . وعما يشعر به . . . وهل يصله الطعام بانتظام أم لا . . . وهل هو راض عما يفعله رجال الخير هناك أم يرجو المزيد . . . ويتحدث مع من يقابله بديمقراطية اختصه الله بها ومنحه إياها . . . ويلقى السلام على جميع من يقابله ، ويزور بعض الدور التى خيم عليها المرض والفقر . .

وعاد الفاروق بعد أن قام بما كان يقوم به الخلفاء الراشدون . . . وفى الصباح الباكر تنكر جلالته وخرج وحده . . وحده . . يزور بقية القرى والكفور والأكواخ والبيوت . لم تكن تلك زيارة عابرة للاستطلاع ولكنها كانت زيارة عميقة للتقصى والاستفسار ، كان الملك يريد أن يرى كل شىء بنفسه ، وأن يلمس كل شىء بيده . . . كان يسأل عن الجميع لأنه ملك الجميع ، وكان يعطف على الكبير والصغير لأنه حبيب الكبير والصغير .

وهنا . . . هنا فى هذا المكان ضرب الفاروق رقماً قياسياً فى المحبة

والعطف والشفقة والرحمة . هنا فى هذا المكان ارتفعت مكانة الفاروق فوق مكانة كل الملوك . . هنا فى هذا المكان زرعت شجرة الحب والوفاء التى زرعها وسقاها وتعهدها الفاروق . . ألا ليت الكبراء والمتفطرسين من الأغنياء والحاكمين والمحكومين اتبعوا هذا التقليد الكريم . .

ملك يخرج وحده فى الصباح الباكر ، يزور المناطق المريضة بأشد الأمراض فتكاً وقابلية للعدوى ، ملك يترك عاصمة ملكه تعج بالاحتفالات والحفلات ابتهاجاً بعيد ميلاده السعيد ، فيترك كل هذا ليأتى إلى الصعيد مداوياً أبناء الصعيد . . ملك يخرج وحده لاحرس يحرسه ولا ركباً يسير وراءه . . ولا زينات تقابله ولا أقواس للنصر تتقدمه . . ملك هذا شأنه أيكون حقاً ملكاً أم ملاكاً .

لقد قلت يوماً فى حفلة من الحفلات إن الفاروق رعاه الله لم يخرج وحده كما تزعمون ، ولم يذهب إلى أمثال هذه الكفور والدور وحده كما تقولون . لقد كان — وما زال — محروساً فى كل مكان نزله وفى كل رحلة ارتحلها ، كفاه بالله حارساً ، وبالله معيناً ونصيراً . . . ثم مالكم تنسون هذه الأرواح . . أرواح خمسة وعشرين مليوناً ترافقه فى كل مكان . . وتحوطه برعايتها فى كل زمان .

لا . لا ليس هذا موطن العجب أيها السادة ، ولكن موطن العجب هو أن زيارة واحدة قصيرة كهذه الزيارة لاتتعدى يومين اثنين ، ثمان وأربعين ساعة . ألفين وثمانمائة وثمانين دقيقة . . . هذه الزيارة تنقذ الملايين من أبناء الصعيد ، بل الملايين من أبناء النيل ، بل الملايين من أبناء الدنيا بأسرها . . لقد أراد الله أن يقضى على هذا الوباء الفتاك بيد

المليك وبسبب زيارة الملك . . منذ ذلك الوقت تفتحت العيون المغلقة . . وانبجست القلوب المتحجرة ، وابتدأت الأيدى المشلولة تعمل .

قامت الأمة بأمرها وراء مليكها تداوى مرضاها . . وتمد يد العون إلى الفقراء من أبنائها . . .

هذه هى المعجزة الكبرى . . فسبحان من أسبغ رحمته وعنايته على الفاروق ، وعلى شعب الفاروق .

* * *

وحل وقت صلاة الجمعة ، فأبى الملك الصالح إلا أن يؤدى واجب الدين بعد أن أدى واجب الدين والدنيا ، فاستقل سيارته إلى مسجد إسنا . وكان الطريق إلى المسجد طريقاً تاريخياً لا أعتقد أن الملك ينسى منظره أبداً . أيد مريضة جاءتها القوة من الله كى تستطيع أن تصفق . . وأجسام عليلة منحها الله القدرة كى تستطيع أن تقوم من فراش مرضها لتدعو ولتهتف .

وأمر المليك بأن تكون الصلاة فى المسجد مباحة لكل أفراد شعبه ، ولكن هل يستطيع المسجد الإسنوى مهما يكن متسعاً أن يسع كل أفراد شعبه ، لو وسع المسجد بعض أفراد هذا الشعب وبقى البعض فصلوا حيث هم . ودعوا الله حيث هم . واستجاب الله دعاءهم حيث هم .

لقد ارتاح بال الفاروق واطمأنت نفسه ، فلقد أدى واجبى الدين والدنيا كاملين ، فأرضى ربه وأرضى شعبه . وبعد الصلاة تفضل جلالته فذهب إلى جمعية الهلال الأحمر لكى يلمس عن كثب جهود متطوعات هذه الجمعية التى تنوء بحملها العصبة أولو القوة .

استقبل المتطوعات فصافحهن واحدة واحدة وسألهن عن أحوالهن

وأعمالهن ومبلغ نجاحهن فى مهمتهن السامية .

ثم قال لهن : « إنى فخور بالسيدة المصرية التى تضحى براحتها فى سبيل هؤلاء الفقراء وهذه التضحية ضريبة يجب أن يؤديها الغنى للفقير فهؤلاء جميعاً إخواننا وآلامهم آلامنا كلنا . . . »

وأبى جلالته إلا أن يفحص كل ما يوزع على الفقراء وإلا أن يتأكد بنفسه من عدالة التوزيع . . فدخل الأماكن التى يعد فيها الغداء حتى « الفرن » دخله جلالته وشاهد الفلاحات وهن يهيئنه .

كما أبى جلالته إلا أن يزور القرى البعيدة والكفور النائية . فكانت سيارة الملك أول سيارة تكتشف هذه الأماكن المجهولة . . . كانت العقبات التى تعترض السيارة من سدود ومنحنيات كثيرة . . ومع ذلك وصل الملك إلى ما يبتغيه وما يرتجيه .

وفى كوخ صغير جلس الأب والام وحولهما أولادهما يفكران تفكيراً جدياً فى مستقبل حياة الأسرة . . . لقد مرض بعضنا وسيمرض البعض الآخر . . . وعما قليل سينفذ ما عندهما من الغذاء وسوف لاتتحمل الملابس الممزقة التى عندهما أكثر مما تحملت . . . غداً سوف يخلو البيت من غذاء وكساء . . أين رحمة الله بعباده ؟ . . لقد تمنى الأب كما تمنت الأم أنهما لو كانا فى القاهرة مثلا لكان هنالك من يشعر بهما . فهنالك جمعيات الخير الكثيرة . والملاجىء المتعددة . وهنالك أناس ينفقون عن سعة فربما جاءهما ولأسرتهما الخير عن طريقهم . . ولكنهم هنا فى أقاصى الصعيد . . . فى الرمال من يعرف حالهم ؟ . . من يسأل عنهم ؟ . . من يفكر فى حياتهم ؟ وما أحالهما إلا

تمنيا زيارة طبيب المركز لكى يداويهما مما بهما من مرض وإن عجز عن أن يداويهما مما بهما من فقر ... الأسرة جميعها تفكر ... حتى الأطفال الصغار شعروا بما يجول فى خواطر والديهم .

وفجأة دخل رجل على محياه الكرم فابتهجت القلوب ابتهاجاً عظيما ... فلما علم أن ذلك الرجل الكريم هو الملك الكريم .. هو الفاروق الكريم لم تعد الأسرة قادرة على الحديث من فرحة المفاجأة ...

لقد تفضل الملك فصافح الأب وصافح الأم وربت بيده الكريمة على أكتاف الصغار .. زغردت الأم .. واغرورقت عين الأب .. وهتف الأولاد ... فبدأ على الملك الابتهاج والانشراح .

وفى كوخ آخر .. كان غير الآخر فيمن يسكنونه ولكنه كان كالأول فى مظهر فقره وفى مخبر مرضه ... دخل الفاروق هذا الكوخ فتحول فى التو إلى قصر منيف .. إلى جنة وارفة الظلال ..

كانت الأم تطبخ طعام اليوم ولكنها تفكر فى طعام الغد .. كانت فى الغالب متعبة ولكنها كانت فى الحقيقة تتوقع أمراً خطيراً .. فلقد سمعت أن ملكا كريماً حل الصعيد .. ولكنها لم تكن تتوقع أن يكون هذا الملك الكريم هو الفاروق ... ولم تكن تتوقع أن يكون هو الذى سيزورها اليوم .. لقد تعودت أن تسمع دائماً عن الملوك الذين يأتون إلى هنا ... إلى الصعيد . فتقف زيارتهم عند حد الأقصر للتمتع بالجو الممتع وللتفرج على الآثار . ولكن من منهم يقبل أن يزورها فى كوخها النائى البعيد ... **إنه الفاروق .**

وشم الفاروق رائحة الطعام .. فطلب منها أن تكشف الغطاء فكشفته

ثم ذاق الطعام . . فزغردت المرأة المريضة المجهد أية امرأة شجاعة تلك . . أيتها قوة نزلت عليها . أية حيوية احتلت جسمها .

وترك المليك هذين الكوخين إلى غيرهما ، فلما كان وقت الغداء دعا جلالته المتطوعات اللاتى تركن الحفلات . . . والاحتفالات وغادرن القصور الشامخات وأتين إلى الصعيد ممرضات . .

دعاهن المليك إلى الغداء . . . وتعارض عامل التشجيع والتعضيد وعامل الرأفة والرحمة . إنه ليعلم حق العلم أن هؤلاء المتطوعات بحاجة إلى التكريم ، وإنه ليعلم حق العلم أن الفقراء فى حاجة إلى الغداء .

وأخيراً رأى أن يتغدى على المائدة الملكية جميع المتطوعات ما عدا اثنتين يقومان بتوزيع الغداء على الفقراء . وقبلت الآنسة الفاضلة بلانش عزيز ودنيس شنودة برسوم أن تقوما بمهمة توزيع الغداء فكرمهما الفاروق بسوارين تقديراً لها على تضحيتهما الكريمة .

وفى أثناء الطعام كان محور الحديث هو إنقاذ هؤلاء المرضى ووجوب الإسراع بمدهم بالدواء والغذاء . . ولما علم جلالته أن المتطوعات يلاقين صعوبات فى المواصلات أمر بتخصيص سيارات لهن

وحيا المليك فى أشخاص المتطوعات كل فتاة نبيلة تعرف واجبها نحو بلادها . . لقد كان هذا اليوم هو يوم تكريم المرأة تكريماً لم تره فى حياتها

واستقل المليك الكريم أحد اللنشات قاصداً الأقصر وإذا كنا قد عجزنا عن وصف استقبال المليك فى إسنا وعن وصف أعمال المليك فى إسنا فإننا من باب أولى كما تقول النظريات الهندسية أعجز عن وصف استقبال المليك فى الأقصر وعن وصف أعمال المليك فى الأقصر . .

فى الأقصر

أما الأقصر فقد خرجت جميعها مريضها وصحيحها . . حاضرتها وباديتها تستقبل الفاروق . . منقذ الصعيد فكان ذلك الاستقبال الحافل خير هدية للمليك فى يوم عيد ميلاده . .

لقد كان هذا اليوم ، هو يوم عيد الميلاد . . وهل مر فى تاريخ العالم عيد ميلاد يقضى فى القرى والكفور . . بين منازل امتلأت بالجاموسيا وبين أكواخ امتلأت بالمرضى . . لقد كان الفاروق قرير العين فى ذلك اليوم . منشرح الصدر فى ذلك العيد . . لقد مر على الفاروق عشرون عيداً كهذا العيد لم يفرح به كما فرح بذلك العيد . .

ولقد مرت على الشعب مئات الأعياد لم يبتهج لها كما ابتهج لهذا العيد ، ولم ينشرح صدره فى واحد منها كما انشرح صدره فى هذا العيد . .

وقام المليك فى المساء بجولة رأى فيها تعبه المريض ، ولمس فيها مقدار الداء والدواء . ولقد كان صباح السبت صباحاً مشهوداً لم ير الصعيد مثله فى يوم ما فلقد خرج المرضى من أماكنهم ليحيوا الملك وليروا الملك ولقد تحولت الشفاه المريضة إلا شفاه قوية تهتف كالرعد . . ولقد انقلب البؤس والشقاء هناءة وسعادة . .

هاهو ذا الفاروق يدخل شوارع وأزقة ودروباً مهجورة . وهاهو ذا يدخل أحد الأكواخ ويقف بجانب الأب يسأله والطفل الصغير ممسك بجاكتته . . وهاهو ذا الملك يسأل واحدة عن أمنيتها فتقول وهى الفقيرة المعدمة : أمنيتى أن أقبل يدك . . ويحقق الفاروق أمنيتها . وهاهو ذا يسأل عن أصحاب منزل من المنازل فيقال إنهم ذهبوا رغم مرضهم ليروا الملك فيقول الملك لجيرانهم : سلموا لنا عليهم .

لقد كرم الملك سيدات الهلال الأحمر وأبى إلا أن يكرم سيدات مبرة محمد على . . كانت السيدة أمينة صدقى ترتدى ملابس ممرضة وتشرف على الأقوات فيأبى الملك إلا أن يشترك فى التوزيع بيده الكريمة .

لقد جرى الخير على يديه فى البداية فليجر أيضاً على يديه فى النهاية .

وأذن مؤذن العودة فعاد الفاروق إلى عاصمة ملكه بعد أن أنقذ الأمة بأسرها . .

ولما عاد من رحلته الميمونة شعرت الأمة بخطورة الحال فى قنا وأسوان ، فانهالت التبرعات من مختلف الجهات ، وأقبل المتطوعون والمتطوعات على الذهاب إلى هناك .

وكان جلالة الملك قد تبرع فى يوم زيارته الأولى بعشرة آلاف من الجنيهات . وقد ظل يشجع العاملين والعاملات بشتى ضروب التشجيعات . ولقد حدث أنه صلى الجمعة فى مسجد الأربعين . وبعد الخطبة تبرع بعض الناس بما تجود به أريحيتهم فتفضل جلالة الملك بدعوة المتبرعين إلى الغداء على المائدة الملكية وقال : « إنى أكرم من يكرم الفقير » ولا يسعنا إلا أن نذكر بالشكر والإعجاب ما قدمته جلالة الملكة المحبوبة لسيدات الهلال الأحمر ومبرة محمد على من التشجيع والتعضيد الذى كان أثره بالغاً فى نجاحهن فى مهمتهن . .

لقد تفضلت ذات يوم فأشرفت على إعداد ملابس المنكوبين وقالت : « إننى لم آت للزيارة وحدها بل لمشاركة الأعضاء فى عملهن » وتفضلت بتفصيل ست قطع من الملابس . .

يوم الشباب والعلم

... وهذا يوم آخر له مغزاه ودلالته، وله عظمته ونبالته، لا يقل عن أيام الصعيد روعة ولا جمالا .. فلقد رأى جلالة الملك أن شباب مصر المتوثبة للمجد .. في مفترق الطرق .. كالحيارى لا يجدون دليلا .. وكالجيش لا يجدون قائداً .. فتفضل جلالته فكان الدليل وكان القائد .. وتفضل جلالته مرة أخرى فأثبت زعامته للشباب .. وقيادته للفتيان بصورة رسمية علنية في يوم الخميس ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣

هاهو ذا قصر عابدين العامر تفتح أبوابه لأول مرة في تاريخ مصر وفي تاريخ القصر .. وها هم أولاء ٥٤٥ طالباً وطالبة، شاباً وشابة هم أوائل المتخرجين والمتخرجات يدخلونه .. وها هم رجال القصر الفاروقي العامر يستقبلونهم فرحين باسمين وها هم يطوفون بهم أرجاء الدار.

فإذا حان موعد الاحتفال جلس المتخرجون والمتخرجات في حديقة القصر برهة وإذا بهلال الفاروق يظهر في سمائهم فكان الاستقبال الحماسي الرائع الذي تعودنا ألا نصفه وعودنا ألا يوصف .. وكان أن تفضل الملك فصافح كل فتى وكل فتاة وأهدى صورة جلالته موقعاً عليها بالتوقيع الملكي إلى كل فتاة وفتى . وألقى أحمد حسنين باشا كلمة جلالته وهي التي صدرنا بها كتابنا .. والتي كانت بعثاً جديداً لحياة الشباب وقوة جديدة هبطت على الشباب .. ونصراً جديداً لمعسكر الشباب ..

كان هو اليوم الأغر في تاريخ الشباب، ولست أراني في حاجة إلى القول

بأن هذا الاحتفال وهذه الرسالة كانت حافزاً لهمم الشباب . . مثيرة لروح التنافس فى الخير بينهم ، حتى لقد عدها بعض كبار الكتاب دستور الشباب فى دولة الشباب ، ودارت عجلة الأيام وفى نفس الموعد من العام التالى أم قصر عابدين ٥٠٠ متخرج ومتخرجة من أبناء وادى النيل ، وكان اسماعيل تيمور باشا يلقى على مسمع جلالة الملك اسم المتخرج أو المتخرجة فيصافحه جلالته أو يصافحها . . ويشجعها أو يشجعه . .

وكان مسك الختام تلك الرسالة الملكية الرائعة التى يسرنا أن نختتم بها كتابنا . وها هى :

« يا شباب العلم تهنئتى وتحيتى إليكم ، وهذه يدى أصافح بها فتاتكم وأصافح فتاكم وكأنى حين صافحتكم قد أخذت العهد والميثاق على أن تكونوا لمصر يداً واحدة تجدد مجدها وترفع بناءها وتنشر رايتها فوق الزمن . .

ويطيب لى فى هذا المقام أن أتحدث إليكم وقد لاحت فى الأفق بشائر النصر والسلام

ياشباب العلم إن الأيام التى خلفتموها وراءكم ليست شيئاً مذكوراً إذا قيست إلى ما تطلبه منكم أيامكم المقبلة من جد واجتهاد .

إن اليوم أشد من الأمس بأساً فأعدوا له ما استطعتم من قوة وعزيمة وواجهوه بالنضال والمثابرة وخذوا علم غدكم كما أخذتم علم أمسكم فان العلم متجدد كل يوم ، ومن فاته علم يوم فقد تخلف عن موكب الحياة ، ياشبان النيل إن مصر تدخركم لها فلا تدخروا فكرة ولا عاطفة ولا طاقة فى سبيلها .

لا نعرف ولا تعرفون ماذا تهيء لكم الأيام ولكن الذى نعرفه

وتعرفونه هو أن تكونوا دائماً مؤمنين بربكم وحقوق بلادكم مخلصين فى وطنيتكم معتزين بمصريتكم ، ليس مقدراً لكل إنسان أن يكون علماً فى بلاده ولكن كفاه أن يكون خادماً أميناً لبلاده ، فاجعلوا مصر قبلتكم واجعلوا الأمانة فى خدمتها رسالتكم ما نمت لكم الآمال فليكن فى سبيل مصر احتمالها وامضوا فى طريقكم تحف بكم عناية الله .

هذه رسالتى إليكم فاحفظوها ، وليبلغ الحاضر منكم الغائب مع تحياتى إلى أهليكم الذين تولوا تربيتكم ، وإلى أساتذتكم الذين تولوا تثقيفكم .

والله أسأل أن يهديكم ويوفقكم إلى سبيل الرشاد ؟

فاروق

شكر واعتذار

إلى أصحاب الدولة والمعالى والسعادة والعزة وإلى حضرات الأساتذة الصحفيين وإلى حضرات الكاتبات الفاضلات الذين كتبوا مقالات لنا نشرنا هنا بعضها وحال نطاق الكتاب دون نشر الكثير منها . . أتقدم بالشكر . . وبالاعتذار . وموعدنا الطبعة الثانية إن شاء الله .

قريباً جداً جداً ...

يصدر المؤلف مجلته الجديدة .. مجلة التجديد والإصلاح .. مجلة الكفاح والنضال .

المجلة التي ستوحد كلمة القادة والشباب ..

المجلة التي ستسود في مصر إن شاء الله دعوة صاحبها ..

المجلة التي تشجع الأكفاء ، والتي تدافع عن المظلومين ، والتي تحارب الطغيان أين وجد .

المجلة التي يحررها خمسة وعشرون مليوناً من أبناء وادي النيل ..

مجلة الفلاح والعامل .. مجلة المالك وصاحب العمل .. مجلة الجميع .

كتب تحت الطبع للمؤلف

(١) « محمد محمود الزعيم النبيل » تاريخ حياته ، وتاريخ حياة النهضة السياسية المصرية الأخيرة بلا تحيز ولا تحزب .

(٢) مصر الجنوب (السودان) القول الفصل في ضرورة اتحاد الوادي من وجهة النظر التاريخية والاقتصادية والسياسية والقانونية .

(٣) مصر الجديدة ، برنامج تفصيلي لما يجب أن تكون عليه مصر بعد الحرب .. سياسي واقتصادي وعلمي وأدبي .

(٤) « المرأة المصرية » ما أدته للأمة من خدمات في الماضي وما يجب عليها أن تؤديه لها في المستقبل .